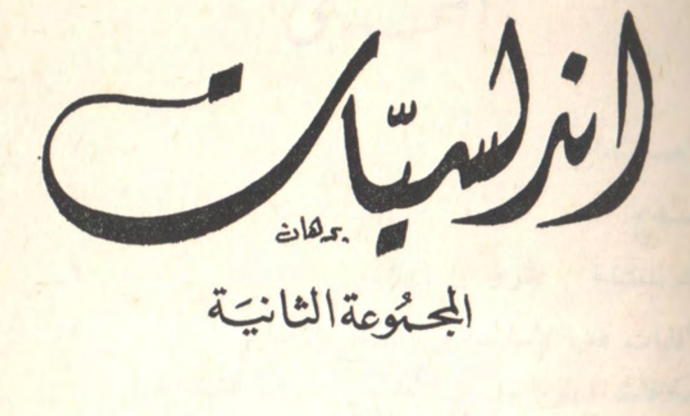


تأليف

الدكتور عبد الرحمن علي الحجي



- الطبعة الأولى
- ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

الإهداء

إلى القـــائد المسلم

الذي كان إيمانُه بالإســـلام

أكْبَرَ مِن كُلِّ خوف

ومصلحتُه فوقَ أيِّ شيء .

قادَ أوّلَ جيشٍ فاتحٍ إلى أوروبـــا

عَبْرَ المُضيق

الذي حَمَلَ اسْمَهُ

والجبلَ الذي هو مِثْلُهُ

كالأســــد رابِضاً

خلّدَ ذِكْرَهُ بكل لسان . . . إعترافاً .

إلى الفاتح **طارق بن زياد**

وإلى **جُنْدِهِ الميامين** الذين قدّموا أنفُسَهم رخيصةً للعقيدة

التي آمنوا بها وأحبّوها حباً

هانت معه حياتُهم في سبيلها

ففُتِحَتْ لهم البلاد بعد أنْ فتَحوا بالإسلام وله نفوسَهم.

إليهم جميعاً وإلى **إخوانهم** في يومنـــا والغَــــد

أُهــدي هذا العمـــلَ الضئيل .

تقديم

ايها القاريء الكريم

تُقَدِّم لك اليوم المجموعةُ الثانية مِن **أندلُسيّات**، بعد أنْ نُقِّحتْ وزُوِّدتْ بالمصادر حَسَبَ الحاجة . وكان أكثرُها قد نُشِرَ في صحف ومجلات مختلفة ، كما هو مُبَيَّن في الحواشي . ولعلها بشكلها الحالي أكثرُ نفعاً وأسهلُ تناولاً .

ومِن الله عزّ وَجلّ التوفيقُ والسّداد .

النقد لتمثيلية :

طارقُ بن زيَاد *

كنت ممن يتابع التمثيلية المسلسلة في الشهر الماضي (محرم) والتي كانت تقدمها إذاعة المملكة العربية السعودية من الرياض والدمام . وكانت تذاع يوميا على حلقات لمدة شهر كامل . وجدتُ في هذه التمثيلية بعض الجوانب الحسنة كما وجدتُ الاخرى غير ذلك . فمجرد صياغة احد جوانب تراثنا والتعريف

* كانت إذاعة الرياض والدمام (المملكة العربية السعودية) قد أذاعت تمثيلية شهرية مسلسلة عن « طارق بن زياد » خلال شهر محرم ١٣٨٨هـ/ نيسان (ابريل) ١٩٦٨م ، فكُتب هذا النقد حول هذه التمثيلية التي لم يُذكر إسم كاتبها ، ونشر في جريدة **الجزيرة** (الرياض) ، العدد ١٩٥ ، ٤ صفر ١٣٨٨ / ٢١ مايس (مايو) ١٩٦٨ .

بتاريخنا المجيد بالاسلوب التمثيلي حسنة ، إضافة الى إشارات لبعض النواحي الناصعة في هذا التاريخ حسنة أخرى . ولكن اذا كان مؤلف القصة قد قصد الى سَوْق الحقائق التاريخية ، أو فهمها ، على غير وجهها فذلك قد يمحو المحاسن أو يقلبها الى أضدادها.

وقصة طارق بن زياد – كما هو معلوم – تمثل إحدى البطولات في التاريخ الإسلامي . وطارق هو الذي قام سنة ٩٢هـ / ٧١١م بقيادة الجيوش الإسلامية (من عرب وبربر) من شمال افريقيا وعَبَرَ المضيق الذي سُمّي باسمه ، لفتح شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا والبرتغال) والتي كان يحكمها القوط ، وملكهم لُذْريق الذي اغتصب عرش اسبانيا من الملك غيطشة. وقد تم للمسلمين فتح شبه الجزيرة الايبيرية (والتي تسمى في مصطلح التاريخ الإسلامي بـ **الأندلس**) بمعاونة وتوجيه والي الشمال الافريقي موسى بن نُصَيْر (الذي عبر بجيشه في السنة التالية لعبور طارق) في غضون أربع سنوات .

ولا اريد هنا أن أتعرض الى الإخراج ، الذي على ما يبدو مقبولا في عمومه ، لاني ما قصدت الى ذلك ولست من العاملين في هذا الميدان . ولكن قصدت الاشارة الى بعض الهفوات – لا كلها – التي لا اشك انه لاحظ كلها أو بعضها (وربما اكثر منها) عدد كبير من المستمعين الكرام .

لم يُذْكَر أسم المُخْرج ولا المؤلف ، علما انني لم أدرك تماماً الحكمة من ذلك وان كان ليس من السهل الشك في وجودها ،

لعله التواضع ! ولكن يبدو أن تمثيلية طارق بن زياد مُقْتَبَسَة من إحدى روايات التاريخ الإسلامي لجرجي زيدان وهي : (**فتح الأندلس**)[1]. وسواء كانت مقتبسة منه أو من غيره أو أُلّفَتْ لهذا الغرض والمناسبة ، فلا يؤسس ذلك فرقا فيما أريد قوله هنا. إني وإن لم اكن من المشتغلين في الفن المسرحي ، تأليفاً أو إخراجاً ، فلا أبعدُ عن الصواب اذا قررتُ بأنه لا يمكن الحجر على مؤلّف التمثيليات التاريخية في استعمال خياله بإيجاد عبارات أو وضع شخصيات جانبية لأداء مهمة معينة ولربط أحداث القصة والمحافظة على تسلسلها وحَبكتها القصصية ، شريطة ألا يؤثر ذلك في الحقائق التاريخية . ولكن الذي يُحْجَر على المؤلّف أشدّ الحجر هو الأبتعاد بالقصة التاريخية (مهما كان الهدف) عن واقعها ، وعلى الاقل في روحها وخطوطها العامة وشخصياتها الرئيسية . هذه واحدة ، والثانية ، وهي الاهم : إن التحكم في روح القصة والأُسُس التي قامت عليها وأوجدتها يُعتبر تحريفاً – ربما ذا هدف – وتجنياً يجب على الآخرين بيانُه ، وإن أمكن إيقافه من قبل المسئولين .

هاتان مسألتان أو هفوتان متوفرتان في قصة (طارق بن زياد) التي نحن بصدد الحديث عنها . ولكن يَحْسُن بي قبل تناول هاتين المسألتين أن أُشير الى أن القصة مع ذلك لا تخلو من أخطاء تاريخية لا تدل على إلمام كافٍ بالاندلس وتاريخه والأسس التي قام عليها .

١ – ذلك ما يبدو من تصفح الكتاب .

فقد ورد ذكر مدينة (طلبيزة) وصحتهـا (طَلَبيرة Talavera) قرب طُلَيْطُلَة، وكذلك مدينة أستَجَة وصحتها إسْتِجَّة Ecija . كما ذكر المؤلف أن موسى بن نُصَيْر حاصر مدينة (مربدة)، وهي مدينة لا وجود لها؛ ولا أشك في أن المقصود بها مدينة مَارِدَة Mérida . كما أورد المؤلف مسألة حرق طارق للسفن (وهي مسألة مشكوك فيها) وكأنها حقيقة، ويبني عليها خطة عسكرية .

والان حان الوقت لمناقشة المسألتين (أو الهفوتين) اللتين سبقت الإشارة اليهما .

المسألة الأولى

وَضْعُ الشخصيات : لقد وُضعت في القصة شخصيات وهي – على ما أعلم – لا وجود لها في التاريخ الاندلسي . والذي يجعل الأمر غير مقبول أن هذه الشخصيات – أو بعضها – رئيسية ، أنطقها المؤلف بآراء تخالف الواقع التاريخي للقصة وتتنكب روحَها. فشخصية الفونسو، الذي جعلته التمثيلية ابن الملك المخلوع غِيطَشَة، لا وجود لها. فلم يرد له ذكر في امهات كتب التاريخ ، بينما جعل له مؤلف التمثيلية دوراً كبيراً في الاحداث ، ولا ندري ما اذا كان لايٍّ من أبناء غِيطَشَة مثل هذا الدور .

وأهم من هذا شخصية أخرى فرضهـا المؤلف فرضاً قسرياً هي : الزهراء بنت موسى بن نُصَيْر ، وليس لها وجود ولم يَرِد لها ذِكْر في أيٍّ من كتب التاريخ التي بين أيدينا. ولكن الاهم ان المؤلف جعل لها دورا مهماً يَدَعُ التاريخَ مُحرَّفاً . فيُظْهِر أن أباها (موسى) أقنع طارق بن زياد بقيادة الجيش لفتح إسبانيا وأغراه بمكافأته بتزويجه مِن الزهراء (الشخصية الوهمية)، ليضمن إخلاصه . وكأن هذا هو الدافع لطارق الذي ألهب حماسه . فيقول في التمثيلية (بعد فتح مدينة طُلَيْطُلَة : «ماذا تفيد طارق مدينةُ طليطلة ومدينتُه المُحبَّبة بعيدة عنه» (يعني الزهراء) . ألا يُعطي هذا صورةَ المساومة؟ أين نذهب بإسلام طارق وحماسته لنشر هذا الدين بتجرده من كل هدف غير مستقبل الإسلام ؟ وتذهب الزهراء بصحبة أبيهـا الى الاندلس وتؤدي دورها في عمليات الفتوح، لكن دوافعها تكاد كلها تتركز في حبها لطارق ليس الا ! إن الذي دفع هؤلاء جميعاً الى هذه الأعمال المجيدة هو الحب والغرام ؟ نعم إنه الحب، لكنه حب الله ورسوله والتفاني في سبيل الدعوة الإسلامية ونشرها ليس إلا .

ثم إن عبد العزيز بن موسى ابن نُصَيْر (واسمه في التمثيلية– لحكمة ما نجهلها–عُزَيْز ، بالتصغير) حين يذهب الى إسبانيا بعد إنتصار المسلمين وقتل لُذْريق ملك القوط ، يرى (عبد العزيز) زوجةَ الملك المقتول لأول مرة فيُؤخذ بجمالها ويحبها حبا

يسيطر عليه، وتُحس بذلك أُختُه (الزهراء) كما يحس هو بتعلقها الشديد بطارق. ويبدأ الاثنان (عبد العزيز والزهراء) بالحديث، كل منهما عن حبه؛ يا للعجب! هل كانا في رحلة غرام؟! وفوق الكل انه لا وجود له في واقع التاريخ

ولا تخلو التمثيلية في أكثر من موقف لبيان دَوْر الإسلام في هذا الفتوح وغايته من وراء ذلك، كما تبين ان موسى لم يكن متحمساً لمجد شخصي وإنما لانه أحب الأنسانية أكثر من حبه للمجد والشهرة. ولكن لماذا هذا التحويل؟ لماذا وُضِعَتْ الإنسانيةُ بديلا للإسلام؟ وهل كالإسلام (أوغيرُه) عرَف قيمة الإنسان ودعى وحقق إنسانيته بصدق وجدية ومثالية ونظافة في الهدف والوسيلة سواءً بسواء؟ وبعد ذلك أليس الإسلام أوسعَ وأنصع وأكرم وأعظم من كل هذه العبارات ومدلولاتها؟ فهل يريد المؤلف تمييع الإتجاه الاسلامي في هذه القصة؟ والتي لولا الإسلام لما كان لها وجود أيّ وجود.

المسألة الثانية

وهي أخطر وأبعد أثراً. إنّ مؤلف التمثيلية وإن كان يذكر أحيانا الإسلام كدافع لهذا الفتح المبين، لكنه يبدو وكأنه يداري أو يفتعل ذلك وبأسلوب مُؤوّل؛ فيُنْطِق موسى: «تحرّرْنا مِن أنانيتنا فانتصرنا». ولكن حتى لو كان الامر كذلك، ولو

مرة، كيف ومَن ذا الذي حررهم من هذه الانانيــة؟ أليس الإسلام؟ لماذا إذن لا نذكره؟

والمؤلف يُكثر مِن نِسبْةَ هذا الفتح وربط هذا المجد والمُثُل لا الى الإسلام (الا ماندر) ولكن الى العروبة، ويصف هذا الفتح بأنه عربي. وليس سراً أن حَمَلَةَ الإسلام الاوائل كانوا من العرب، ولكن ذلك كان على أساس إسلامي غير مختلط أبداً بقومية معينة. علماً بأن أول مَن قاوم الإسلام وشهر السيف في وجهه هم قريش قمةُ العرب. فليست المسألة إذن مسألة قومية أية قومية، إنما هي مسألة إسلام وإسلام فقط.

فيقول موسى (في التمثيلية) في المحاجة حين وجوده في اسبانيا: «لا يخشى العربي في الدنيا إلا الحق وألاّ يكونَ على حق». فهل هذا حقيقة في ذاته وفي التاريخ؟ وإذا صح فمتى كان ذلك؟ ويخاطِبُ أحدُهُم موسى بقوله: «أيها القــائد العربي..». وحين يخاطب موسى الجند (على ما اذكر) يقول لهم: «ياجنود العروبة». لايشك احد أن موسى لو خاطب جنده بهذه العبارة لاستغربوه منه بــل لانكروه عليه لابل لاستنكره هو من نفسه؛ ولـمّا وَلي القيادة، لان الفاتحين لم يكونوا كلّهم من العرب، فكان كثير من آلافهم من البربر جمّعهم الإسلام وألّف بينهم، فما كانوا مُطلقا يتنادُوْن بقومية ما، وما وجدنا في أي خطبة أو وصية أو أيٍّ من توجيهات القادة

خلال الفتوحات الإسلامية أيّةَ إشارة أو إشادة بالقومية ؛ فلم يكن الافتخار وإثارة الحماس أو الخطاب على أساس الجنس، وكذا في فتح الاندلس . كيف واللهُ تعالى يقول : «واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كُنْتُم أعداءً فَألّف بين قلوبكم فأصْبَحتم بنعمته إخواناً »[1] .

ثم ما الداعي لهذا المزج المرقع حين تقول الزهراء : «إن طارقاً خدم الإسلام والعروبة » . فهل العروبة شرطُ الإسلام أو العكس ! وهل هما صِنوان لا وجود لأحدهما بدون الآخر؟ وحين يقول طارق لموسى: «لستُ إلا عاملا تحت لوائك ولواء العروبة والإسلام »، فان المؤلف يذكر مرة الإسلام أولاً ثم يذكر العروبة قبله مرة أخرى . ولا أدري لماذا جعل المؤلف (في العبارة الأخيرة) بدل اللواء الواحد (لواء الإسلام) ثلاثة الوية : لواء موسى ولواء العروبة كذلك ؟ وهنا أطالب المؤلف (إن كان حياً ، ومَن أعدّها للاذاعة) أن يأتي ـ تأييداً لما ذهب اليه ـ بأقوالٍ تاريخية لهؤلاء القادة يبين أنهم كانوا يتخاطبون بالعروبة ويعملون بدافع قومي ، وإلا فإنه محض إختلاق . ثم يذهب المؤلف الى أبعد من ذلك حين يقول على لسان الزهراء عن سجن طارق (وهي مسألة مشكوك فيها) : « إن طارقاً أولُ عربي يدخل السجون » . لو سمعها طارق لرفض الزواج المزعوم من الزهراء ، بل لأقام الدعوى ضد قائليها . فهل كان طارق يسعى ويجاهد ليرفع رايةَ العروبة ؟

١ ـ القرآن الكريم : ٣/ ١٠٣ (سورة آل عمران) .

أليس هذا تجنيا ، وما هو الدافع ؟ بل أليس في ذلك اتهامٌ لطارق في إسلامه ؟ والعجب في هذا أن طارقاً لم يكن عربياً يوماً ما ، وليس بين جميع المؤرخين الذين اختلفوا في أصله من إدّعى بأنه عربي ! فالاختلاف في أنه بربري أو فارسي الأصل ، والأرجح أو الثابت أنه بربري . ولكن طارقاً لم يصف نفسه أو ينسبها الى العروبة أو غيرها ، بل كان يفخر فقط بأنه مسلم وكفى .

أبي الإسلام لا أب لي سواه

إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

لا أريد أن أنفي كل حسنة عن هذه التمثيلية ، لكنني اقول إن فيها اخطاءً اساسية وفي القواعد ، اخطاء تجعلنا نرفضها لانها تخالف روح الإسلام وواقعه التاريخي . لا ادري لماذا يحاول البعض ان يُلبس الاحداث الإسلامية أثواباً مستعارة ويعطي مفاخر الإسلام لغيره، فهل نخجل من إسلامنا ام نشعر بالضعف والنقص معه ، فنعمل على استعارة عناصر قوةٍ اخرى ؟ بينما الإسلام هو اساس ومصدر القوة كل القوى الخيرة ، وبه لا بغيره ومن أجله كان الفتح الإسلامي للاندلس وغير الاندلس ، وما عدا الإسلام فلا يبدو أمامه الا ضعيفاً متصاغراً . ويوم فقد المسلمون إسلامهم فقدوا عناصر القوة وأسباب البقاء وزالت عنهم العزة «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» .

إن الاذاعة احدى الوسائل الفعالة في التوجيه، وما من شك

في ان حضرات المسؤولين يُدركون اكثر من غيرهم هـذه الفاعلية، لذا فمسئوليتهم أكبر من غيرهم. والمفروض أنهم واعون لها وأمناء عليها وانهم كذلك حريصون على تصوير الإسلام بكل جوانبه (ومنها التاريخية) بخصائصه الرائعة وصورته الربانية وكما بلّغها رسولُ الله الامين صلى الله عليه وسلم، ليستيقنَ المسلمون (من العرب وغير العرب) أنه مهما طلبوا العزة في غير الإسلام أذلّهم الله، وأنّ عزتهم بالإسلام وبالإسلام وحـده.



الأقلّيات غير الإسلاميّة في المجتمع الأندلسي •

أصل كلمة الأنْدَلُس تاريخياً مأخوذ من « فاندلسيا Vandalusia » أي الوَنْدال Vandals الذين احتلوا اسبانيا قبل القُوط [١]. أما مدلول الأندلس الجغرافي فيعني كل ما كان تحت الحكم الإسلامي من شبه الجزيرة الإيبيريّة

• المحاضرة التي أُلقيتْ في نادي الشباب الرياضي (الرياض - السعودية) مساء الاثنين ١٩ رمضان ١٣٨٨، ونشرت في جريدة «**الجزيرة**» (الرياض)، العدد ٢٢٦، ١١ شوال ١٣٨٨ / ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨. ثم نُقّحت وزُوّدت بالمصادر ونُشرت بشكلها الحالي (تقريبا) في مجلة «**رابطة العالم الإسلامي**»، العدد العاشر، السنة السادسة، ذي الحجة ١٣٨٨/ شباط (فبراير) ١٩٦٩.

١ــ محمد عبد الله عِنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ١ / ٢٧، ٥٠.

« اسبانيا والبرتغال اليوم » ؛ وذلك بعد الفتح الإسلامي لاسبانيا التي كانت محكومة مِن قِبَل القُوط بعد الوَنْدال والرومان في ما مـضى من القـرون .

وكان فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد . وهو وأكثر جنده كانوا من البربر ، سكان الشمال الأفريقي الذين آمنوا بالإسلام وتحمسوا لنشره بما لا يقل عن تحمس المسلمين من العرب الذين حملوا الإسلام الى هناك . وأول معركة كبيرة خاضها طارق في عمليات الفتح كانت في شهر رمضان المبارك ، شهر الغفران . وهو من وجهة نظر التاريخ الإسلامي **شهر الفتوحات** . ففيه كانت معركة بدر الكبرى، معركة الفرقان ، وغيرها من المعارك .

في ٢٨ رمضان ٩٢هـ / ٢٧ أبريل (نيسان) ٧١١م التقى جيش الإسلام بجيش القُوط بقيادة ملكهم لُذْريق ، في جنوب إسبانيا في السهل الواقع بين نهري وادي لَكَه والبَرْباط Bardate واستمرت المعركة سبعة أيام . وكان عدد جيش القُوط يتراوح - حسب الروايات - بين اربعين ومئة ألف [1] . وكان عدد الجيش الإسلامي - دون خلاف - اثني عشر ألفاً . فكان عيدُ فِطْرِ المسلمين سعيداً بما فتح الله عليهم من النصر المبين بفضل عقيدتهم الفُضلى وتمسكهم المخلص بها . ثم

---

١ - عنان ، نفس المصدر ، ١ / ٤٢ .

استمرت عمليات الفتوح الإسلامية لإسبانيا حوالي أربع سنوات .

استقر الحكم الإسلامي في الأندلس تدريجيا ، واستمر المسلمون هناك ثمانية قرون حتى سقوط مملكة غَرناطه في ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م. تقَلَّبت الأندلس خلال هذه القرون في فترات: كان أولها، بعدالفتح، فترة الولاة. ثم أقام عبد الرحمن الداخل دولة ورث حكمها ابناوه حتى نهاية القرن الرابع الهجري بسقوط الدولة العامرية، ثم كان قيام دول الطوائف فحكم المرابطين فالموحدين ، ثم مملكة غَرناطة آخر حصن للاسلام هناك .

كانت تجاور الأندلس في الشمال دول إسبانيا المسيحية التي نمت تدريجيا . ويليها خلف جبال البُرْت Pyrenees دولة الفرَنْجَه. وقد تقَلَّب المسلمون خلال هذه المدة في فترات مضيئة وأخرى قاتمة ، مستقرة وثانية مضطربة ، قوية منتصرة وضعيفة متخاذلة تارة أخرى . كان الجانب المشرق متوفراً يوم ترى السيادة للقيم والمفاهيم الإسلامية والعكس بضمورها أو ذهابها .

وليس للأندلس المفهوم الجغرافي الذي ذكرناه فقط بل الأندلس تراث وحضارة وتاريخ ، كما هو شمول لمختلف العناصر البشرية التي ضمها واستظلت بظل الإسلام فيه .

وعناصر المجتمع الأندلسي البشريـة تنقسم قسمين:

المسلمون وغير المسلمين . فالمسلمون من مختلف الأجناس: العرب والبربر ، وهؤلاء دخلوا الأندلس فاتحين أو وافدين بعد ذلك ؛ ثم الاسبان الذين دخلوا الإسلام ويسمون المسالمة . كما أطلق على أولادهم الذين ولدوا مسلمين اسم مولّدون، وهم يمثلون أكثرية المسلمين في الأندلس؛ ثم الصقّالبة الذين جلبوا إلى الأندلس صغاراً من مختلف الأقطار الأوروبية . فهذه العناصر هي المكونة للشعب المسلم في الأندلس. وكانت تعيش مع المسلمين في الأندلس فئات غير إسلامية هي موضوع هذا البحث . وتتمثل هذه الفئات أو الأقليات غير الإسلامية في الأندلس من: اليهود، والمسيحيين الذين يمثلون غالبية غير المسلمين في الأندلس. وكانوا خليطاً من القوط والرومان والاسبان أهل البلاد الأصليين الذين يسمّون أيضاً بالإيبيريين . كما كانت هناك قلة من جماعات وثنية لعلها ذابت فيما بعد أو تحولت إلى الإسلام .

سيشمل حديثنا إذاً هذه الجماعات غير الإسلامية ، ولكن أحياناً سيكون الحديث أكثره منصباً على النصارى فذلك لأنهم الأكثرية ومن باب التغليب كما يقول اللغويون . وإنّ ما يقال عن المسيحيين شامل لغيرهم من هذه الأقليات .

وحينما نتحدث عن وضع الأقليات ومعاملتهم من قبل المسلمين الحاكمين الذين يمثلون الأكثرية الكثيرة في المجتمع الأندلسي فإننا في الحقيقة نتحدث عن أحد جوانب الإسلام وحضارته من الوجهة العملية التطبيقية . وبصورة عامة فحديثنا

عن تاريخ أية دولة إسلامية هو في نفس الوقت بيان لصورة الإسلام الواقعية العملية حين تكون ملتزمة به .

فالتاريخ الإسلامي هو صورة الإسلام الواقعية ، حين يلتزم . ولذلك فإن هذا الأسلوب والتعامل الذي ساس به المسلمون من عايشهم من غير المسلمين في المجتمع الأندلسي ليس مقصوراً على الأندلس وحدها ، بل هو الأسلوب والطريق الإسلامي في كل بقعة أو دولة مسلمة ما دام له الإلتزام، والشواهد على ذلك لا تحصى . بل إنه حدث في بعض البقاع أن المسلمين كانوا يمثّلون الأقلية وكانت الأكثرية تنتخب حاكمها من المسلمين توليه عليها أو في شؤونها أو إذا أسلم تبقيه في السلطة التي كانت له قبل إسلامه [1]، نتيجة لما لمسوه من المثل العليا والتعاليم الفاضله التي ترجمها المسلمون واقعاً في كل تصرفاتهم يوم كانوا مسلمين . وإن الهبوط في التطبيقات الإسلامية في الواقع الاجتماعي العملي يقابلة هبوط في التمسك بالإسلام وهو نتيجة له .

وعلى هذه الأضواء أرجو أن يفهم ما سيكون في الحديث التالي عن الأقليات في المجتمع الأندلسي . فمنذ بدايات الفتح الإسلامي للأندلس اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم

١ـ أديب مخوّل ، **الإسلام في الشرق الأقصى**، ص٢٢، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٩ - ٥٢، ٥٩، ٩٥؛ عاشور، **المدنية الإسلامية**، ص ١٢٦، ٢٠٦ - ٢٠٨ .

من أهل البلاد المفتوحة بالتسامح التام الذي أشاد به غير المسلمين وكثير من المؤرخين الأوربيين [1] . تدلنا على ذلك الأفواج التي دخلت الدين الإسلامي تباعاً برضاً واختيار (لا إكراه في الدين) .

كما بقي بعضهم على دينه القديم وعاشوا بين المسلمين ولم يهجروا الأندلس إلى اسبانيا الشمالية مثلا ، حيث وَجَدوا كل ما يأملون من حرية وتسامح يفوق ما نجده في أي مجتمع معاصر اليوم ، وكل ذلك مع الصدق في الشعور والرغبة الجدية في تطبيق هذه المعاملة والمحافظة عليها .

ولقد تَبَنّى غيرُ المسلمين ـ نتيجة لهذه السياسة ـ العاداتِ الإسلامية واللغةَ العربية ، كما يتبين لنا بعد حين .

كانت تلك سياسة المسلمين خلال الفتح وبعده حين استقروا في البلاد وأقاموا مجتمعهم . وحديثنا يشمل فقط أولئك الذين ارتضوا البقاء في المجتمع الإسلامي ، ممن لم يُسلم ، يُعايشون المسلمين في حياتهم ، وكان هؤلاء نصارى في أغلبهم . ونستطيع أن نلمس سياسة التسامح الإسلامية لهذه الأقليات في المظاهر التالية :

المظهر الأول

ويتمثل في إحترام المسلمين للنصارى وغيرهم في

١ـ رينو ، **تاريخ غزوات العرب**، ص ١٥٦، ٢٨٨ ـ ٢٩١ ؛ لين بول، **قصة العرب في إسبانيا** ، ص ٧٢ .

المعاملات والمجاملات . فلم يتدخل المسلمون في شيء من عقائدهم ، وتُرك لهم يعيشون عيشتهم كما تُركت لهم الحرية الواسعة في قضائهم الخاص وحريتهم الدينية من الأديرة والأُسقفيات والمطرانيات (الأبرشيات) . ولقد كان حول قرطبة وحدها في فترة ما من أيام الحكم الإسلامي في الأندلس أكثر من خمسة عشر ديراً [1] . كما أبقى المسلمون جميع أماكن العبادة لغيرهم التي كانت قبل مجيئهم ، ولم يُهدم منها إلا ما كان في المناطق التي دخل كافة أهلها في الإسلام . ورأينا هذا الأسلوب منذ الوقت المبكر ، فإن عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر أعطى الأمان والحقوق خلال عمليات الفتح الإسلامي لتُدْمير صاحب مدينة أرْيُولَة . وجاء في هذا الكتاب الذي كتبه عبد العزيز له :

(بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر لتُدْمير بن عَبْدوش أنه نزل على الصلح وأن له عهدَ الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألاّ يُقَدَّم له ولا لأحد من أصحابه ولا يُؤخّر ولا يُنْزَع من مُلكه ، وأنهم لا يُقتلون ولا يُسبون ولا يُفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ، ولا يُكرَهون على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم ، ولا يُنزَع عن كنائسه ما يعبد ، وذلك ما أدى الذي

١ـ فروخ، **العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط**، ص ١٧٩ وبعدها؛ سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، ص١٣١؛ عبد البديع ، **الإسلام في إسبانيا** ، ص ٢٧ .

اشترطنا عليـــه . .) [1] .

بل إن المسلمين سمحوا لهم ببناء كنائس جديدة وما يريدون من الأديرة . وكانوا يقرعون نواقيسهم رغم ما كان يسببه هذا من إزعاج للمسلمين . أين هذا من تعصب الإسبان حالياً في عدم السماح بإقامة مسجد في إسبانيا، وامتعاض بعض الرهبان الذين رأوا أحد ملوك المسلمين في مسجد قرطبة يصلي فيه تحيةً ؟ والمرجو أن توافق الدولة الاسبانية على إقامة مسجد للمسلمين في عاصمتها .

وفي قرع النواقيس دلالة واضحة على تسامح المسلمين وإعطاء النصارى الحرية التامة في إقامة شعائرهم . ويذكر ذلك ابن حزم في إحدى قصائده في كتابه **طَوْق الحمامة** فيقول[2] :

أتَيْتَني وهلالُ الجو مُطّلِع

قُبيل قَرْع النصارى للنواقيس

وبلغ من تسامح المسلمين أنهم سمحوا للأساقفة المسيحيين بعقد مؤتمراتهم ومجامعهم الدينية كمجمع إشبيلية الذي عقد سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م ومجمع قرطبة في سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م، إضافة إلى أن اسبانيا الاسلامية (الأندلس) « كانت البلد الأوروبي الوحيد في العصور الوسطى الذي تمتع فيه اليهود بحقوقهم كاملة . . كما

١– سالم ، نفس المصدر ، ص ١١٦ .

٢– ص ١٣٣ .

تمتعوا برعاية الدولة لهم » [1] .

ونتيجة لهذا التسامح المثالي وبكافة الأبعاد اتخذ هؤلاء المسيحيون أو أكثرهم (وكذلك اليهود) العربيةَ لغة لهم واتقنوها وجعلوا يكتبون بها خيراً مما يفعلون مع لغتهم اللاتينية. كما أنهم اتخذوا العادات الإسلامية ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم في ملابسهم ومطاعمهم ومشاربهم وحتى في أسمائهم . بل إن بعضهم امتنع عن أكل لحم الخنزير ومارس الختان [2] وهو عادة إسلامية. ولذلك نجد في النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي قد انتشرت بين الاسبان النصارى، الذين سُموا بـ« المُسْتَعْرَبين »، اللغةُ العربية والعادات الإسلامية انتشاراً واسعاً وعميقاً مما حمل أحد النصارى المعاصرين هو الفارو القرطبي أن يكتب وثيقة في سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م بُعَيْد حكم الأمير عبد الرحمن الأوسط (الثاني) ، المتوفي سنة ٢٣٨ / ٨٥٢ م ، يصف فيها الذعر الذي أصاب بعض الذين كانوا يحتفظون بالعاطفة المسيحية . فيذكر كيف أن شبان النصارى يتقنون اللغة العربية بفصاحة ويقتنون مؤلفاتها ويدرسونها في حين أنهم يجهلون آداب الكنيسة ولغتهم اللاتينية [3] . وفي مخطوطة في مدريد -حيث هذه الوثيقة-

---

١– عاشور، **المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية**، ص٢٨.

٢– رينو، نفس المصدر، ص ٢٣١ ، ٢٩١ .

٣– عِنان، نفس المصدر، ١ / ٢٦٦ ؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ص ٤٨٥ . كذلك انظر : أدناه ، ص ٥٩ .

كُتِبَت في إهداء الكتاب أبيات منها [1] :

كتابٌ لعبد المالك الأسْقُف النَدب
جَوَادٌ نَبيلُ الرِفد في الزمن الجـدب

هذا على الرغم من أن غير المسلمين كانوا أحراراً في تعليمهم ومعاهد تدريسهم . والعجيب المدهش إن تسامح المسلمين هذا أثار سُخْطَ بعض النفوس المتعصبة من المسيحيين فقاموا بحركة رفضت هذا التسامح وطالبت بإحلال الاضطهاد لهم ولنبي دينهم مَحلّه . وتُسمى هذه الحركة بحركة الاستشهاد ، وحدثت أواخر أيام عبد الرحمن الأوسط . ولكن هل ان هذه الحركة كانت نتيجة للحقد على الاسلام وعلى المجد الذي حققه وانخراط الكثيرين تحت لوائه ورضا مَن لم ينضو تحت لوائه بالعيش مع أهله مختاراً متمثلا عاداتهم ؟ فكان في ذلك إشارة ضد المسلمين لتغبيش وتعكير هذا الجو الصافي التسامحي ؟

أو هل إن حياة هذه الفئة المتعصبة كانت لابد أن تكون مليئة بالحزن وتعذيب الانسان لنفسه ، أو مِن قِبَل غيره ، تلذذاً وذلك أفضل عندهم لإظهار مقدار الثبات والإخلاص للفوز بتطهير الجسد لإنعاش الروح ؟ أو الغاية الجمع بين هذه الأهــداف ؟

١– بالنثيا ، نفس المصدر ، ص ٤٨٦ .

ولقد أطلق بعض مؤرخي الغرب على هذه الحركة اسم « الانتحار الديني » [1] ، حيث تجنب هؤلاء عمداً طريق الانجيل ونبذوا تعاليم السيد المسيح عليه السلام وأرادوا هم أن يثيروا المسلمين لتعذيبهم . وقد سَعَوْا إلى إثارة المسلمين لشن حملة اضطهاد ضد المسيحيين . وإن الذي قاد كِبَر هذه الحملة هو الراهبُ يولوجيوس (أولوخيو Eulogius) . وكانوا يَدعون ويحرضون المسيحيين على شتم الإسلام وسب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم علناً في كل مكان ، حتى كانوا يتعمدون الوقوفَ على أبواب المساجد في أوقات الصلوات حين يخرج المسلمون لإسماعهم هذا القذفَ الجنوني [2] .

وكان أيضاً ممن اشتهر في هذه الأحداث فتاة مسيحية اسمها (فلورا Flora) ، وكان أبوها مسلماً وأمها نصرانية نشأتها سراً على دينها . وبهذا يشار إلى أهمية التربية البيتية بإشراف الأمومة عليها . ولقد أُعدم نفر من المسيحيين في هذه الأحداث بعد أن أصروا على هذا القذف أمام القاضي الذي ألح عليهم بالتنازل عما قالوه ، لكنهم جددوا الشتائم والقذف أمامه . من ذلك أن راهباً يُدعى إسحاق طلب مقابلة القاضي بحجة الدخول في الإسلام ، وما كاد القاضي ينتهي من شرح

١– لين بول ، نفس المصدر ، ص ٧٣ .

٢– Imamuddin, *A Politiccal History of Muslim Spain*, P. 68 .

مبادىء الإسلام وأصوله حتى انصب هذا الراهب لَعْناً على الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم بأقذر الشتائم والسباب [1].

وكان أن عولجت هذه المسألة بمنتهى الحكمة . ذلك بأن دَعى عبد الرحمن الأوسط إلى عقد مجلس الأساقفة الذي أصدر قراره باستنكار هذه الحوادث [2] . ثم انتهت بعد ذلك هذه الأحداث إلى غير رجعة ولم يشارك فيها إلا قليل من الناس استُهجن عملُهم وإسهامهم فيها . أما غالبية المُستعْرَبين النصارى فقد عابوا ذلك ورفضوه .

وكان لهؤلاء المُستَعْرَبين دَوْر مهم في نقل الثقافة الاسلامية إلى إسبانيا الشمالية [3] ، وربما لبقية أوروبا . وكان حين يأتي بعض ملوك اسبانيا الشمالية قادماً إلى قرطبة في وفد رسمي يُستدعى أحد المُستعربين لمرافقته . من ذلك أن أوردونيو الرابع Ordono IV مَلِكَ مملكة ليون Leon وَفد على الخليفة المستنصر وكان عُبَيْد الله بن قاسم مُطران طُليطُلة (عاصمة القوط القديمة) ممن رافقه في هذه السفارة ليُعَرّفوه ويُبَصّروه بآداب مقابلة الخليفة والمراسيم المطلوبة [4] .

١– لين بول ، نفس المصدر ، ص ٧٨ .

٢– عنان ، **دولة الإسلام**، ١ / ٢٦٨ ؛ سالم، نفس المصدر، ص٢٤٢.
قارن : لين بول ، نفس المصدر ، ص ٨١ .

٣– عبد البديع ، **الإسلام في إسبانيا** ، ص ٣٠ .

٤– عبد البديع ، نفس المصدر ، ص ٢٨ .

المظهر الثـــاني

والمظهر الثاني من مظاهر التسامح هو شيوع التصاهر بين المسلمين والمسيحيين، حيث تزوج كثير من المسلمين بمسيحيات وكان ذلك (أحياناً) أمراً اعتيادياً في الأندلس ومع دول اسبانيا الشمالية . من ذلك أن عبد العزيز بن موسى بن نُصير تزوج من زوجة لذريق والتي تسميها الرواية الإسلامية: «أم عاصم»[1]. وكذلك المنصور بن أبي عامر تزوج من أميرة نافارية تسمى «عَبْدة» [2]. وكانت زوجة الحكم المستنصر كذلك واسمها «صُبْح» وهي أم هشام المؤيد . ولم يكن عبد الرحمن الناصر **أعظم خليفة أندلسي إلا حفيد أميرة من الشمال الإسباني** [3].

المظهر الثـــالث

والمظهر الثالث هو أن الدول المسيحية في الشمال الاسباني لم تجد حجة ولم يذكر لنا أحد من المؤرخين أنها قامت مطالبة بحماية الرعايا المسيحيين . وكذلك لم تفعل الدولة الفرنجية التي كانت تتربص أحياناً الفرص بالأندلس . وليس ببعيد

---

١ – سالم ، نفس المصدر ، ص ١١٣ ؛ رينو ، نفس المصدر ، ص ٥٩ ، ١١٦ .

٢ – عنان ، **دولة الإسلام** ، ٢ / ٥٧٠ .

٣ – راجع : **أندلسيات** (المجموعة الاولى) ، ص ٨٣ .

عنا خبر حملة شارلمان بجيش ضخم على الأندلس في سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨ م وتوغله فيها أملا في القضاء على سلطة قرطبة الإسلامية ولكنه عاد خائباً .لكننا نجد أن الأمر على العكس ،حيث أن الدول المسيحية في شمال إسبانيا كانت تتقرب إلى الأندلس وتتوسطها في قضاياها وتحكّمها في خصوماتها وأن الناصر لم يستغل هذه الدول وتفرقها في مهاجمتها والقضاء عليها. ونكاد لا نعثر على مثل واحد يشير إلى أن المسلمين بدأوا بالاعتداء على هذه الدول رغم تفوقهم في كل شيء.

المظهر الرابع

ويتمثل المظهر الرابع في بقاء اليهود والنصارى على دينهم آمنين مسرورين متمتعين بأقصى ما يمكن أن يحلُموا به من الحقوق العامة لو كانوا مقيمين في مجتمع خاضع إلى مثل دينهم.

المظهر الخامس

إن الأقليات كانت تُعامَل على قدم المساواة مع المسلمين في الأمور العامة ، حتى ان منهم من وصل إلى المناصب العالية لأن سياسة الإسلام تقوم على الكفاءة،وعموماًفالأفضلية لأهله.

وإن من النصارى (أوغيرهم)من كان يعمل في القصر الملكي وفي حرسه ومنهم من شغل منصب السكرتارية فيه ومنهم من كان

يُعين في سفارة إلى دولة أخرى مُمثلاً الخلافة قرطبة[1]. من ذلك السفارة التي أرسلها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى الامبراطور الألماني أوتو الأول Otto I برئاسة راهب هو رثموندو Recemundo (ربيع بن زيد الأسقف القرطبي)[2]. وإن طبيب الخليفة الناصر كان يهودياً وهو حسداي بن شبروط[3]. ولدينا في هذا الباب أمثلة أخرى.

* * *

إن هذه المعاملة التي رأينا صورةً مصغرةً عنها كانت رائعة ساطعة جلبها الإسلام إلى اسبانيا مع ما جلب من المُثل والحضارة التي تسرب قسم منها فيما بعد إلى اسبانيا الشمالية فأوروبا . لقد كانت اسبانيا قبل الفتح الاسلامي تموج بالاضطهاد لفئات كثيرة وطبقات متعددة فأنقذها الإسلام

---

١ – هل إن مثل هذه الأمور كانت تتم للضرورة فقط ؟ إن البعض لا يرضى بوقوع مثل هذا في الدولة الإسلامية . انظر: ابن القوطية ، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، ص ١٠٢ .

٢ـ رينو ، **تاريخ غزوات العرب** ، ص ٢٣٢؛ عنان، **دولة الإسلام**، ٢ / ٤١٦ .

٣ ـ عنان ، نفس المصدر ، ٢ / ٤٥٧ ، ٤٦٤ .

من كل ذلك بعدله وسماحته. ولكن حين سقطت الأندلس عادت اسبانيا، ربما بصورة أشد ، إلى الاضطهاد . ولكن لمن هذه المرة ؟ للذين أنقذوها من الاضطهاد وبكل وقاحة . فإن السلطات الاسبانية لم تكافىء ولو بشيء بسيط الأيادي التي سلفت لها من المسلمين . وإن الاسبان بعد سقوط غرناطة وقبلها ذبحوا المسلمين وهدموا مآثرهم وأحرقوا تراثهم . ولو ان السلطات الاسبانية المتعصبة ردت–بعد انتصارها وإزالة حكم المسلمين – شيئاً مما أخذت، إذاً لوجدنا حتى اليوم تعايش الديانتين متجاورتين ، المئذنة إلى جانب الكنيسة هناك . ولكن هيهات فكل ينفق مما عنده . أين التسامح الإسلامي من اضطهاد رجال الكنيسة الاسبان والسلطات الاسبانية التي حرَّمت مَن بقي من المسلمين ، بعد سقوط دولتهم في الأندلس ، حتى ملابسهم واستحمامهم ولغتهم وعاداتهم . بل إن المطران خمينس Ximénes احتفل في ساحة بغرناطة بعد سقوطها بحرق عشرات الآلاف من المخطوطات تعبيراً عن تسامحه ! !

ولا تزال حتى الآن صور التسامح الاسلامي الساطعة تكشف ضلالات وسراب دعايات تسامح العالم غير الإسلامي في الشرق والغرب . في روسيا حيث ذُبح وطورد المسلمون وربما غيرهم ، وأمريكا وبقية دول أوروبا التي اضطهدت الإسلام وحاربته ولا زالت . وفي سياسة فرنسا في الجزائر وبريطانيا في

فلسطين – مثلا – وتعاون الجميع في إقامة إسرائيل خير دليل . وسيبقى الاسلام الصبغةَ المثالية « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ». ويوم نتخذ صبغتنا من هذا الدين ونقيم عليه قواعد حياتنا سنكون أعزة ونحرر الديار : فلسطين وغيرها .

والآن رأينا كيف أن المسلمين فتحوا الأندلس في رمضان ، جاهدوا وهم صائمون وقضوا عيدهم يقاتلون ، وأقاموا بعد ذلك مجتمع المحبة والعدالة التي أنتجت الحضارة والتراث الرفيع . أقاموا ذلك بالإسلام ويوم تركوه خرجوا من تلك الديار . **دخلوا الأندلس بالإسلام وبدونه خرجوا .** ونذكر هنا موقف آخر ملوك غرناطة وهو أبو عبد الله الصغير . فحين ترك غرناطة بعد سقوطها وقف في خارجها عند تل البذُول ليُلقي على غرناطة نظرة الوداع الباكية والحسرة الدامعة ، وكانت معه أسرته فقالت له أمه عائشة :

« إبك مثلَ النساء مُلكاً لم تحافظ عليه مثلَ الرجال »

ويورده البعض شعراً :

إبكِ مثلَ النساءِ مُلكاً مُضاعاً
لم تحافظ عليه مثلَ الرجالِ

عرضنا في الكلام السابق صوراً جميلة لجانب من حياة المسلمين مستمدة من دينهم الذي أبلغهم العزة والقوة . ورأينا

كيف عاش معهم غيرُهم بكل رضا وسرور . ولكن يوم تولوا عن دينهم تولت عنهم العزة، حيث اعتزوا بغير الاسلام فلم يجدوا غير الذل .

ألا – أيها المسلمون – هل من رجعة إلى الإسلام كريمة ترد لنا الحياة المسلمة الكريمة ؟

العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس واسبانيا الشمالية في الفترة الأموية

(١٣٨ – ٣٦٦هـ / ٧٥٥ – ٩٧٦م)

يشمل هذا الموضوع قسمين :

الأول :

نظرة عامة على دول إسبانيا الشمالية (المسيحية) منذ نشأتها حتى سقوط الدولة العامرية في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وعلاقة هذه الدول مع بعضها ومع الأندلس

الثاني :

العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وهذه الدولة (في إسبانيا الشمالية) خلال الفترة الأموية

القسم الاول *

نظرة عامة على دول إسبانيا الشمالية (المسيحية) منذ نشأتها حتى سقوط الدولة العامرية في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وعلاقة هذه الدول مع بعضها ومع الأندلس

إنّ القوات الإسلامية التي فتحت شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) ، بقيادة فاتح الأندلس ، طارق بن زياد ، في سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م وبقيادة الوالي المُحنّك ، موسى ابن نُصَيْر ، فيما بعد في ٩٣ هـ / ٧١٢ م ؛ هذه القوات لم تفتح شبه الجزيرة الإيبيرية قاطبة . إنها لم تتابع الفلول

---

* نُشر هذا القسم (الاول) ، مع تفصيلات أُخرى (بالإنجليزية) :
« Christian States in Northern Spain during the Umayyad period », *THE ISLAMIC QUARTERLY* ,vol. IX, nos. 1 and 2, (London , 1385 / 1965).

المنهزمة أمامها من بقايا الجيش القوطي [١] التي هربت إلى شمال إسبانيا بحثاً، في جبالها، عن ملجأ يحميها من الجيوش الإسلامية المظفرة. فتجمّع بعضُها شرقاً في نبَارّة Navarre أو بلاد البَشْكُنْس Basques[٢]، تحت قيادة بُطْرُه Pedro. وكما كانت هذه الإمارة قليلة الخطر والأهمية، كانت أيضاً هدفاً للقوات الإسلامية الذاهبة والآيبة من بلاد الفِرنْج فيما وراء جبال البُرْت Pyrenees. لكن مجموعة أخرى من هذه الفلول تجمعت في المرتفعات الغربية، تلك المجموعة التي غرست بذور الدولة الإسبانية [٣]. وكانت

---

١ – يبدو أنه كان من الاسباب الهامة، إن لم يكن أهمها، في عدم إتمام فتح شبه الجزيرة الإيبيرية، هو استدعاء القائدين طارق وموسى الى دمشق من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك. راجع عِنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ١ / ٥٤؛ المَقّري، **نفح الطيب** (طبعةالقاهرة، ١٩٤٩)، ١ / ٢٥٨.

٢ – ابن خلدون، **العبر**، المجلد الرابع، القسم الثاني، ص ٣٨٥؛
Urbel, *Historia de Espana Cristiana*, VI, p 195.

٣ – تلك الدولة التي استطاعت بعد ثمانية قرون، إنهاء الحكم الاسلامي في اسبانيا في الثاني من ربيع الاول ٨٩٧هـ / الثاني من كانون الثاني (يناير) ١٤٩٢ م، عندما ترك غرناطة آخر ملوكها محمد الحادي عشر (ابو عبد الله Boabdil) بعد أن سلّمها الى الملكين الكاثوليكيين: فردناند وإيسابيلا Ferdinand and Isabella.

هذه المجموعة تحت قيادة بِلاي Pelayo [١]. ويقول المؤرخون المسلمون: إن تعداد هذه الجماعة كان ثلاثين رجلاً وعشر نساء [٢]. وقد التجأ هؤلاء إلى كهف «كوفادونكا Covadonga» [٣] الذي يقع في جبال Picos de Europa في سلسلة جبال «كانتبريا Cantabria» [٤] المنيعة، البعيدة عن طريق الجيوش الإسلامية. وأيضاً فإن قلة عددها واحتقار المسلمين لأهميتها، كل ذلك ساعد كثيراً على بقاءها ونموها وتقدمها فيما بعد.

---

١ – ابن خلدون، ٤/٢/٣٨٦. وجاء في «**أخبار مجموعة**»، ص ٢٨: «ولم تبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة، فإنه لاذ بها ملك يُقال له بلاي.»

٢ – المَقّري، **نفح الطيب** (طبعة القاهرة)، ٤ / ١٥، ٦ / ٨٢ – ٣. ويظهر أن في ذلك شيئاً من المبالغة، لكنها تدلنا على قلة عددهم التي دعت الجيش الإسلامي الى إزدرائهم وتركهم في ملجأهم المنيع. وهناك عامل آخر أضفى أهمية الى بلاي وجماعته في كوفادونكا، أعني النزاع الداخلي بين المسلمين أنفسهم، والذي تلا هذه الاحداث.

٣ – نجد وصفها والحديث عنها عند: عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ٢٩٢. ويسميها المؤرخون المسلمون **الصخرة** ويجعلونها في جليقية. انظر: المقري و**أخبار مجموعة**، نفس الصفحات السابقة؛ كذلك: أبو عبيد البكري، **جغرافية الأندلس واوروبا**، ص ٧١ – ٧٣.

٤ – مؤنس، **فجر الأندلس**، ص ٣١٣.

ابتدأ بِلاي مع أتباعه المقاومة في ٩٨ هـ / ٧١٨ م[١]، على اختلاف في تحديد هذا التاريخ[٢]. وحينما توفي بلاي في ١١٩ / ٧٣٧[٣] ورثه في الحكم ابنُه فافيلا Fafila الذي دام حكمه سنتين فقط ، حيث توفي في ١٢١ / ٧٣٩ ، دون أن يترك ذرية على ما يظهر . وحوالى نفس السنة المذكورة توفي بُطره حاكم إمارة كانتبريا التي اصبحت قوية واسعة ، فورثه ابنه الفونسو (الفونش) الأول الملقب بالكاثوليكي Alfonso I, El Catolico . وتــزوج هذا من أرمسندا Ermesinda إبنة بلاي ، فقام على أثر ذلك اتحاد بين إمارتي كانتبريا وجِلِّيقية في حكومة واحدة أطلق عليها المؤرخون المسلمون جلّيقية . وكانت تمتد مــن المحيط الاطلنطي غرباً حتى بلاد البَشْكُنْس شرقاً ومن مضيق بسكاي Bescay شمالا إلى نهــر دويــره Duero جنوباً . واعتُبر الفونسو الأول المؤسس الحقيقي للمملكة المسيحية . وسّعها وقوّاها ومَسَّحَ كل هذه المنطقة ، حيث نفى المسلمين الذين كانوا يسكنــون غَاليسية Galicia

١ — Cagigas , *Los Mozarabes*, I,p. 81; Saavedra , *Estudios sobre la invasion de los Arabes en Espana*, p. 141; Urbel , ibid., pp. 23-24;

عبد البديع ، **الإسلام في إسبانيا** ، ص ١٣ ؛ سالم ، **تاريخ المسلمين**، ص ١٦٩ ؛ عنان، **دولة الإسلام**، ٢ / ١١٢ .

٢ — مؤنس ، **فجر الأندلس** ، ص ٣٣١ .

٣ — Levi - Provençal, *Historia de Espana , Espana Musulmana*, IV, p. 42.

وأسْتُورْقَة Astorga[١] . وعين الفونسو الأولُ أخاه فرويلا Fruela حاكماً على مقاطعة كانتبريا ؛ وهاجم فرويلا بعض الأراضي الإسلامية وخربها . وكان المسلمون في هذا الوقت منشغلين بالحرب الداخلية ، كما كان يوسف بن عبد الرحمن الفِهْري أميرُ الأندلس مشغولاً بقمع ثورة في الشمال ، مما دفع ألفونسو إلى انتهاز هذه الفرصة لغزو مدينة لُك Lugo في أقصى الشمال الغربي للحدود الأندلسية . وفي ١٣٧ / ٧٥٤ وبينما كان أمير الأندلس يتجهز لإنجاد المدينة ، سمع بوصول عبدِ الرحمن الداخل الأندلسَ ، فذهب لحربه .[٢]

لقد عمل كلٌ من ألفونسو وأخوه فرويلا جهده لتوسيع المملكة المسيحية . وحينما توفي فرويلا قام ألفونسو بحكم المملكة كلها ، فوسع حدودها بإضافة أقسام إقتطعها من الأراضي الإسلامية[٣] . ولكنه توفي بعد أخيه بمدة قصيرة في ١٤٠ / ٧٥٧ . وكان وريثَ الفونسو ابنُه فرويلا الأول الذي استولى على عدة مناطق إسلامية مثل شَقُوبية Segovia وآبِلَة Avila وسَمُورَة Zamora وشَلَمَنْقَة Salamanca وغيرها .[٤]

١ — أخبار مجموعة ، ص ٦٢ .

٢ — عِنان ، **دولة الإسلام في الأندلس** ، ١ / ٢١١ .

٣ — Levi - Provençal, ibid., IV, p. 43 .

٤ — عِنان ، نفس المصدر ، ١ / ٢١٢ .

وقامت معارك بين عبد الرحمن الداخـــل وفرويلا ، كانت الحرب بينهما سِجالا والحدود بين مد وجزر . وكان فرويلا مَلِكاً طاغياً مما أدى إلى اندلاع عدة ثورات داخلية ضده في أماكن متعددة ، الأمر الذي أعطى المسلمين فرصة لاسترداد ما خسروه . واغتيل فرويلا في ثورة جديدة في ١٥٩ / ٧٧٥[1] . وكـــان ابنُه ألفونسْ طفــلاً فقُسّمت المملكة إلى قسمين : القسم الشرقي ، نافار أو نَبَارّة ، حَكَمه أوريليو Aurelio ابنُ فرويلا أخـــو الفونسو الأول ، وحكم سيلو أو شيلون Silo زوج أدوزنـــدا Adosinda ابنة ألفونسو الأول ، القسمَ الغربي (غاليسية Galicia) ، وكان الحاكمان على علاقات طيبة . توفي أوريليو في ١٦٥ / ٧٨١ ، فانتَخَب البَشْكُنْس سيلو بدله ، لأن ابن فرويلا الأول لم يكن قد بلغ بعد سن الرشد ، وهكذا مرة أخرى توحدت اسبانيا المسيحية . لكن سيلو توفي في ١٦٨ / ٧٨٤ من غير أن يترك عَقِباً[2] ؛ فعُين ألفونسو بن فرويلا الأول وريثاً له تحت وصاية زوجة سيلو الأميرة أدوزندا ؛ فاستاء لهذا قسم كبير من الشعب ورفضوا الاعتراف به . فقامت ثورة قوية بقيادة موركاط Mauregato الذي استقل في القسم الغربي من غاليسية ، واتخذ برافيا Pravia عاصمة له ، بينما التجأ ألفونسو إلى ألَبَة Alava عند أخواله البَشْكُنْس . خاف مؤيدوا

١ – عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ١ / ٢١٤ .
٢ – عنان ، نفس المصدر ، ١ / ٢١٤ .

الفونسو من مورقاط ، الذي ثبّت مركزه بمعاهدة مع المسلمين ، فارتبطوا بمعاهدة مع الفرنج . ومات مورقاط في ١٧٣ / ٧٨٩ بعد سنة من وفاة الداخل الذي ورثه ابنه هشام الأول ، في حكم الأندلس (١٧٢ – ١٨٠ / ٧٨٨ – ٧٩٦) .

خاف النبلاء الذين ساندوا مورقاط من انتقام الفونسو فانتخبوا برمند Vermudo بن الفونسو الأول ، الذي رضي ذلك دون رغبة ، إذ كان يفضل حياة الترهب في الدير . فعقد معاهدة سلم مع ألفونسو وعينه قائد الجيش خوفاً من الأمير هشام الأول الذي كان يتهيأ لمهاجمة الشمال . وبعد ثلاث سنوات تنازل لألفونسو ليعود إلى ديره ، فتولى الفونسو الحكم تحت اسم الفونسو الثاني في ١٧٥ / ٧٩١ الذي لقب بالعفيف el Casto ، وقد دام حكمه واحداً وخمسين سنة حتى ٢٢٨ / ٨٤٢ . عاصر ثلاثة أمراء أندلسيين : هشام الأول والحكم الأول (١٨٠ – ٢٠٦ / ٧٩٦ – ٨٢٢) وعبد الرحمن الثاني – الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ / ٨٢٢ – ٨٥٢) .

وحصلت عدة معارك بين الفونسو الثاني وبين المسلمين من أهمها معركة في غاليسية في ١٧٩ / ٧٩٥ والتي انهزم فيها . وفي ١٩٣ / ٨١٠ قاد جيشاً لمهاجمة الأراضي الإسلامية فوصل حـــتى قَلَمْرِيَة Coimbra ولِشْبونـــة[1]، فَرَدّ

١ – Urbel, *Espana Cristiana*, VI, p. 46.

الحكم الأول هذا الهجوم ووصل حتى غاليسية . كما وجه عبد الرحمن الثاني جيشاً بقيادة وزيره عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث في ٢٠٨ / ٨٢٣ [1] ضد ألْبَة والقِلاع [2] . فاضطرهم ، كضمان لمعاهدة السلام ، إلى دفع جزية وإطلاق سراح الأسرى المسلمين لديهم وعلى ألا يهاجموا الأراضي الأندلسية .

ولما توفي الفونسو الثاني خلفه ابنه راميرو الأول (٢٢٧ – ٢٣٦ / ٨٤٢ – ٨٥٠) الذي قمع عدداً من الثورات التي قامت ضده . ولعدة سنوات لم يقم بهجوم على الأراضي الإسلامية ، حيث كان الطرفان منشغلين أيضاً برد هجومات النورمانديين ، الذين يسميهم المؤرخون الأندلسيون « المجوس أو الأرْدُمانيّون » ، الذين هاجموا السواحل الاسبانية في ٢٢٩ / ٨٤٤ [3] . وبعد وفاة راميرو الأول Ramiro I خلفه ابنه اردونيو الأول Ordono I (٢٣٦ – ٢٥٢ / ٨٥٠ – ٨٦٦) . فاستغل انشغالَ الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ – ٢٧٣ / ٨٥٢ – ٨٨٦) مع بعض الثوار الأندلسيين ، فهاجم الأندلس ، ولكن الأمير استطاع ردّه في عدة معارك . وبعد وفاته خلَفَه

١ – عنان ، **دولة الإسلام** ، ١ / ٢٥٢ – ٣ .

٢ – وفي اللاتينية : Alava et Castella Vetula . و Castella هذه في الإسبانية الآن : Castilla la Vieja أي قشتالة القديمة . راجع : عنان ، **دولة الإسلام** ، ١ / ٢١٣ حاشية ٢ .

٣ – ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ٢ / ٨٧ .

ابنُه الفونسو الثالث (٢٥٢ – ٢٩٧ / ٨٦٦ – ٩١٠) الذي عاصر ثلاثة أمراء : محمد وابنيه المنذر (٢٧٣ – ٢٧٥ / ٨٨٦ – ٨٨٨) وعبد الله (٢٧٥ – ٣٠٠ / ٨٨٨ – ٩١٢) .

واجه الفونسو الثالث عدة ثورات ومؤامرات عائلية ولكنه نجح في قمعها جميعاً ، عدا تلك التي كانت بقيادة برمند ، الذي استطاع أن يستقل بحكم استورقة لعدة سنوات . كان الفونسو متديناً وعلى صلة دائمة بالسلطة البابوية ، يستشيرها في أمور كثيرة . فكان مهتماً بالأمور الدينية ورجالها ، ينفق عليهم بسخاء مما دعاه إلى فرض ضرائب على الطبقة العامة من الشعب ، والتي استاءت من ذلك ، الأمر الذي أدى بها إلى خلعه بمؤامرة عائلية لصالح ابنه الأكبر غرسيه Garcia (٢٩٧ – ٣٠١ / ٩١٠ – ٩١٤) . وعين الفونسو أبناءه : أردونيو Ordono ليحكم غاليسية Galicia وفرويلا ليحكم أسْتُرياس Asturias [1] . ثم نقل غرسية عاصمته من أوفيد Oviedo في استّرياس إلى مدينة ليون Leon . أما الفونسو الثالث ، أو الكبير el Magno كما تسميه بعض الروايات المسيحية ، فقد توفي في نفس تلك السنة التي خُلِع فيها . ومن هذا التاريخ أيضاً ، أطلق على المملكة المسيحية اسم « مملكة ليون » بدلا من مملكة غاليسية وأسْتُرياس .

لا يعني ذلك أن جميع إسبانيا المسيحية أصبحت مملكة موحدة

١ – عِنان ، **دولة الإسلام** ، ٢ / ٣٦٣ .

خاضعة لسلطة مملكة ليون كحكومة مركزية واحدة ، بل يعني أن مملكة ليون أصبحت أقوى وأوسع مملكة في إسبانيا المسيحية . وهي مملكة ليون التي تكونت من اتحاد غاليسية واستَرياس واتخذت ليون عاصمة لها ، بفضل توسطها . فكانت هناك إمارات مستقلة ، وفي أحيان كثيرة كان بعض الأمراء وأصحاب البيوتات يستقلون في أماكنهم .

والممالك التي كانت تقوم إلى جانب مملكة ليون ، مملكتان . وعلاقاتهما مع ليون وفيما بينها ، بين حرب وخصومة تصل حد الاستعانة بالمسلمين ضد بعضهم ، إلى سلم وصفاء قد يؤدي إلى تعاونهم واتحادهم ضد المسلمين . وهاتان المملكتان هما قَشْتالة Castilla ونَبَرّة أو نَبارّة Navarre . وبالإضافة إلى هاتين المملكتين كانت تقوم إمارة برشلونه Barcelona [1] التي كونت مع غيرها من بعد إمارة قطلونيا Cataluna التي دُمجت في مملكة أراغون Aragon سنة ٥٣٢ / ١١٣٧ [2].

وبعد وفاة غَرْسية Garcia جاء إلى الحكم أخوه

١ – افتتحها المسلمون في ٩٦ – ٩٨ / ٧١٤ – ٨١٦ ، ثم افتتحها لويس Louis بن شارلمان Charlemagne في ١٨٥ / ٨٠١ ، وأصبحت مستقلة في ٢٧٥ / ٨٨٨ . وكان امراؤها المستقلون على علاقات طيبة مع سلطة قرطبة وربما خضعوا لها ولو في الظاهر . انظر : شكيب أرسلان ، **الحلل السندسية** ، ٢ / ٢١١ ، ٢٧٦ ؛ ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣٩٦ .

٢ – عنان ، **دولة الإسلام** ، ١ / ٢٣٢ ، ٢ / ٤٩١ .

أردونيو الثاني Ordono II (٣٠١ – ٣١٢ / ٩١٤ – ٩٢٤) . بلغت ليون في عهده درجة من القوة أهلَتْها لمصارعة المملكة الإسلامية . فقد استطاع الأخير أن يحرز أيام عبد الرحمن الثالث (٣٠٠–٣٥٠/٩١٢–٩٦١) نصراً على المسلمين في موقعة شَنْت اشتيبن San Esteban في ٣٠٥ / ٩١٧ [1]. وخلَف فرويلا الثاني أخاه أردونيو الثاني بعد وفاته ولكنه توفي هو أيضاً بعد عام واحد . وقام على العرش نزاع بين شانْجُهْ Sancho والفونسو ولدَيْ أردونيو الثاني . وانتهى الصراع – بعد محاولات عدة من الطرفين وأعوام من الحرب الأهلية – بفوز الفونسو بمعاونة صهره شانجه ملك نَبارّة ،وحكَم ليون باسم الفونسو الرابع . وفي ٣١٧ / ٩٢٩ توفي أخوه شانجه . وفي ٣١٩ / ٩٣١ أو قبلها ، توفيت زوجته التي حزن حزناً عميقاً لفقدها ، فتنازل لأخيه راميرو (ردمير) الثاني ليترهب في دير Sahagun ولكنه ندم على تنازله ، فيما بعد . وانتهت محاولاته لاسترداد العرش بسمل عينيه من قبل أخيه راميرو الثاني Ramiro II . وكان هذا قوياً شجاعاً قارع المسلمين بكل الوسائل . وكانت أعنف صور هذا الصراع بينه وبين الناصر في معركة الخندق Alhandega في ٣٢٧/ ٩٣٩ التي دارت على المسلمين . وتوفي راميرو الثاني في ٣٣٩/

١ – ويسمى الحصن الذي كان أردونيو الثاني فيه « قاشْتُر مُورُش Castro Moros » . انظر : ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ٢ / ١٧٠ – ١ .

٩٥٠ . فقامت الحرب الأهلية بين ولديه : اردونيو ، أكبرهما وشانجه الذي اعتمد على عون أخواله النافاريين – البَشْكُنْس – وجدتِه الملكة طُوطَه (Toda (Tota وملكِ قشتالة فرّان غنصالص Fernan Gonzalez . ورغم ذلك فقد انتصر اردونيو الثالث الذي توفي في ٣٤٤/ ٩٥٥ . وخلفه أخوه شانجه الأول « السمين el Gordo » (٣٤٤ – ٣٥٤/ ٩٥٥ – ٩٦٥) الذي ثار أشراف ليون ضده ونزعوه من العرش مُحتَجّين بهزيمته في بعض معاركه مع المسلمين وببدانته التي تمنعه من ركوب الخيل . فالتجأ إلى جدته طُوطَة في بنبلونة Pamplona .واختار أشراف ليون بدله أردونيو الرابع المعروف بالردىء el Malo ، وهو ابن الفونس الرابع وعم شانجه الأول . ولكن الأخير استطاع استعادة عرشه بمساعدة الناصر الذي أرسل له حَسْداي بن شبروط اليهودي ، لعلاجه من بدانته ، كما أعانه عسكرياً لهذا الغرض . ففر أردونيو الرابع إلى برُغش Burgos ، وتوفي الناصر بعد ذلك بقليل . وكم حاول أردونيو الرابع استعادة عرشه واستعان بالحكم الثاني « المستنصر بالله » (٣٥٠ – ٣٦٦/ ٩٦١ – ٩٧٦) لكنه توفي قبل تحقيق هذه الأمنية ، مما أراح شانجه الأول منه . واستطاع هذا أن يشن حملات عدة ضد المسلمين ؛ كما فعل ذلك من جانبه فرّان غنصالص الذي استقل بإمارة قشتالة . واستمر شانجه الأول يحكم مملكة ليون في جو مملوء بالثورات حتى اغتيل مسموماً في ٣٥٥/ ٩٦٦.

فَخَلَفَ شَانجُهُ ابنُه رامبرو الثالث (٣٥٥ – ٣٧٥/ ٩٦٦ – ٩٨٥) الذي كان طفلا في الخامسة من عمره ، فحكم تحت وصاية عمته الراهبة إلبيرة Elvira ؛ مما جعل أشراف ليون يقومون بعدة ثورات . وكانت الأحوال الداخلية في إسبانيا المسيحية عامة غير مستقرة ، مما حدا بملوكهم إلى تحسين علاقاتهم مع قرطبة . لكن رامبرو الثالث ، بمعاونة غالب الناصري ، قام بحربه ضد المنصور بن أبي عامر (٣٦٦ – ٣٩٢/ ٩٧٦ – ١٠٠٢) الذي واجه قوات الشمال المتحدة وهزمها في موقعة شَنْت مَنْكِش Simancas في ٣٧١/ ٩٨١ . واعتقد أشراف ليون أن رامبرو الثالث لم يعد صالحاً للحكم فقرروا خلعه وتولية ابن عمه برمودُه Vermudo (٣٧٢ – ٣٨٩ / ٩٨٢ – ٩٩٩) . لكن رامبروا لم ييأس فشن حرباً ضد ابن عمه وحاول الاستعانة بالمنصور ولكنه توفي . انفرد برمودُه الثاني بالحكم ، وكانت علاقته مع المسلمين بين السلم والحرب حتى توفي فَخَلَفَه ابنُه الفونسو الخامس الذي وُضِع تحت وصاية أحد أعيان ليون Menendo Gonzalez .

* * *

بعد الانتهاء من الحديث عن مملكة ليون حتى هذه المرحلة ، نعود إلى مملكتَيْ قَشْتالة Castilla ونبَارّة Navarre. فقشتالة تقع بين مملكة ليون في القسم الشمالي الغربي من الجزيرة الإيبيرية وبين مملكة نبَارّة . وكان يحكمها زعيم محلي مقره في بُرْغش Burgos خاضع لملك ليون . واستطاعت

أن تحصل على استقلالها في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، على يد بطلها Fernan Gonzalez[1]. وكان قوياً ضد خصومه ملوك ليون تملأه فكرة تحرير قشتالة من سيطرتهم [2] ، فأعلن الحرب على رامبرو الثاني ، ملك ليون وولده اردونيو الثالث من بعده . وكما كان قوياً ضد خصومه ملوك ليون كان عنيداً في حربه ضد المسلمين فلم يحالفهم قط [3]، وتوفي في ٣٥٩ / ٩٧٠ بعد أن حكم ٣٩ سنة . وخلفه ابنه غرسيه Garcia Fernandez الذي توفي في ٣٨٩ / ٩٩٥ فورثه ابنه شانجه Sancho Garcia .

* * *

أما مملكة نَبَارّة ففي بلاد البَشْكُنْس Basques جنوب جبال البُرْتات Pyrenees وإلى جهة الغرب . وقد كانت في مبدأ أمرها تحت سلطة بعض النبلاء التابعين للفرنج أو لحكامٍ من كانتبرية Cantabria أو أمراء من أستُرياس Asturias . وقد اتخذوا بنبلونه الحصينة قاعدة لهم والتي كانت قبلا هدفاً للغزوات الفرنجية والإسلامية . وفشل أمراء غاليسية في ضمها إلى المملكة النصرانية . وفي نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي بدأت محاولات الاستقلال . ومن الأمراء المستقلين شانجه

١ – ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، ص ٣٢٨ .
٢ – Lafuente, *Historia General de Espana*, III, p. 435 .
٣ – عِنان، **دولة الإسلام** ، ٢ / ٥٤٤ .

Sancho (٢٢١ / ٨٣٦) ، الذي انتزع الإمارةَ منه أحدُ زعماء البَشْكُنْس وهوغرسيه ابن وَنَقُه Garcia Iniguez[1]. وكان غرسية على صلة ببني قَسِي المُوَلّدين الذين كانوا أحياناً يشقون عصا الطاعة على السلطة الإسلامية أو يخضعون لها إسمياً . ولقد حارب أحد زعمائهم وهو موسى بن موسى ابن فرتون بن قسي إلى جانب غرسيه ضد أردونيو الأول في معركة البَلْدَة Albelda في ٢٤٨ / ٨٦٢، حيث قُتِل غرسيه وتُوفي موسى فيما بعد متأثراً بجراحه [2].

خلَف غرسية ابنُه فرتون Fortun Garcés الملقب بالأنْقَر ، الذي قضى حوالي ٢٠ سنة أسيراً في قرطبة [3]. ولكنه عُزل عن الحكم في ٢٩٣ / ٩٠٥ واحتل مكانه شانجه غرسيه الأول Sancho Garcia . وهو أول من تلقب ملكاً من أمراء نَبَارّة ويعتبر المؤسس الحقيقي لهذه المملكة [4]. خاض مع المسلمين ومع بني قَسِي – الذين تغيرت علاقته معهم – معارك عدة وتوفي في ٣١٤ / ٩٢٦. خلفه ابنُه الطفل غرسيه شانجه الأول Garcia Sanchez I فحكم أولاً تحت وصاية عمه خمينو Jimeno Garcés ثم أمه الملكة طُوطَة Toda

١ – ابن حزم ، **جمهرة أنساب العرب** ، ص ٤٦٧ – ٨ .
٢ – عنان ، **دولة الإسلام**، ١ / ٢٩٤؛ ابن عِذاري ، **البيان المغرب** ، ٢ / ٩٧ .
٣ – ابن عذاري ، ٢ / ٩٧ .
٤ – عنان، **دولة الإسلام** ، ٢ / ٣٦٦ .

التي بقيت تحكم باسمه حتى بعد بلوغه ونضجه إلى وفاتها في ٣٤٩ / ٩٦٠ . وكان لها دور في تاريخ نبَارّة وعلاقاتها مع الدولة الإسلامية . واستمر غرسيه في الحكم حتى وفاته ٣٥٩ / ٩٧٠ وخلفه ابنه شانجه الثاني Sancho Garcés II . وكانت مملكة نبارّة قد اتسعت رقعتها وزادت قوتها وتكررت غاراتها على الأراضي الإسلامية . وتوفي شانجه هذا في ٣٨٥ / ٩٩٥ فخلفه ابنه غرسيه شانجه الثالث Garcia Sanchez III .

* * *

العرض السابق لدول اسبانيا المسيحية، خلال الفترة الأموية، يعطينا فكرة ولو موجزة عن كيفية وظروف نشأتها وحكامها — أمراءً وملوكاً — وعلاقات بعضها ببعض، ويعيننا في الفهم حين الحديث عن علاقتها مع « الأندلس ». فكانت في هذه الفترة ثلاث ممالك، بالإضافة الى إمارة برشلونة. أقواها وأكبرها مملكةُ ليون والعاصمة مدينة ليون، ثم مملكة نبَارّة وعاصمتها بنبلونة، ومملكة قَشْتالة وعاصمتها بُرْغُش.

لم تكن أحوال هذه الممالك مستقرة دائماً، فكثيراً ما كانت تقوم الخصومات على السلطة في الدولة ذاتها، سواء بين أفراد العائلة المالكة أو ثورات الأشراف ومحاولات استقلالهم في مقاطعاتهم أو بتأييدهم لملك ضد آخر من عائلته. فكانت أحياناً تقوم دولة داخل الدولة، على عكس التنظيم السياسي للأندلس الذي حرص على سلامة السلطة المركزية. وكان الأشراف ينتقلون أحياناً من دولة مسيحية إلى أخرى إذا لم

يعجبهم الوضع . وربما انتقلوا إلى الأراضي الإسلامية لينضووا تحت لوائها ويحاربون في صفها . وكانت علاقات هذه الدول ببعضها تتراوح بين السلم والحرب حسب مصالحها وهمة حكامها أو مطامعهم. ولم تكن دائماً دوافع السلم أو التقارب موضوعية، بل أحياناً نفعية أو لمواجهة الدولة الإسلامية . وكان للسبب الأخير تأثير كبير على تاريخ هذه الممالك، وكثيراً ما كان دافعاً للتجمع في مناسبات عدة، حتى أن حُجة أشراف ليون في تبرير خلعهم شانجه الأول (السمين) هي هزيمته أمام المسلمين في بعض المعارك .

وما دامت العلاقات على هذا النحو (ولو أحياناً) فإن بعض الأمراء المسيحيين الذين كانوا يريدون الاستقلال عن السلطة المركزية يطلبون العون من المسلمين مثل برمودُه (برمنده Vermudo) أخي الفونس الثالث Alfonso III الذي استقل بحكم أستورقه Astorga بمعاونة المسلمين [1] . كما أن سوء الأحوال الداخلية في مملكة ما كثيراً ما كانت تفرض على حكامها المهادنة والسلم مع المسلمين، كما حدث بين الفونسو الثالث والأمير محمد . وإذا ما شعروا أحياناً بالقوة أو بضعف المسلمين لا يترددون بنقض عهودهم كما فعل شانجه الأول ملك ليون أيام الناصر، أو بغزو الأراضي الإسلامية كما فعل غرسيه شانجو الأول Garcia Sanchez I ملك نبَارّة . كما

١ — Aschbach, *Geschichte der Omajaden in Spanien*, I, p. 301.

إن الخصومات التي كانت بين هذه الممالك دفعتهم إلى طلب الصلح وعقد المعاهدات مع المسلمين لتأمين جانبهم والانصراف إلى شؤونهم أو مقارعة خصومهم . ولم يكن للمصاهرات الملوكية بين حكام هذه الدول إلا قليل الأثر في استمرار السلم بينها .

وإن بعض الوفود السفارية الذاهبة من اسبانيا الشمالية الى قرطبة ، ذهبت لطلب التأييد المادي والعسكري ضد الطرف الآخر ، كوفادة ملكة نبّارّة طُوطَة ، مع شانجه الأول (السمين) ملك ليون المخلوع ، الى بلاط الناصر .

فدوافع إنشاء علاقات ودية مع المسلمين من جانب هذه الدول لم تكن دائماً موضوعية ، بل — في أغلب أحيانها — تبعاً لحاجتها لهذا السلم وظروفها الداخلية وعلاقتها مع بعضها ، ولذلك كانت تُنقض في أحيان كثيرة .

القسم الثاني

العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس ودول إسبانيا الشمالية خلال الفترة الأموية

كم كنا نأمل أن تتعايش الديانتان — الإسلامية والمسيحية — جنباً إلى جنب في شبه الجزيرة الإيبيرية ، خاصة وقد ظهرت بعض البوادر التي لوا ستمرت في النمو ، بتعاون الطرفين ، لـكُنّا نشاهد المسجد يقف إلى جانب الكنيسة حتّى الآن في اسبانيا والبرتغال ، ولحقنت بذلك كثير من الدماء التي أُسيلت . ومما لا شك فيه أن اتحاد الامكانيات والتعاون الفكري وتزاوج القابليات خير وأنفع للانسان وحضارته من نيران العداوات والحروب ، كل ذلك على الرغم من التسامح الرائع الذي عامل به المسلمون غيرهم .

فمثلا لو أن ألفونسو الثالث Alfonso III ملك استرياس Asturias وغاليسية Glaicia ، الذي تنازل

عن عرشه ومات في ٢٩٧ / ٩١٠ والذي طالما تغنى بفضائله وأمجاده الاسبان ، لو أنه تعامل مع المسلمين بنفس الروح التي عهد بها بتربية ابنه إلى بعض المربين القرطبيين [١]، لكان قد وضع لإسبانيا الشمالية أحد حجرات الأساس في هذا السبيل. ويجب ألا ننسى تلك المحاولة العملية التي لو طُبقت بنجاح على نطاق أوسع لأسهمت كثيراً في توطيد التعايش المطلوب وتأسيس سلم دائم بين الجانبين. تلك كانت محاولة موروقاط Mauregato حاكم جليقية الغربية ، بتشجيع المسيحيات بالتزوج من المسلمين ، مما أزعج القساوسة الذين اعتقدوا أن تلك المحاولة ستُنْهي العداوة بين المسلمين والمسيحيين [٢] . ووَضْعُ موروقاط في ارتباطه وصداقته مع المسلمين ، ساعد هؤلاء وبعض المتعصبين من أتباعهم في إثارة الشعب ضده [٣]. ولسوء الحظ ان سياسة التعصب التي أدت إلى الحرب ، نجحت على حساب السلم والصداقة . ورغم اعتراف المؤرخ الاسباني Lafuente بأن كثيراً من تصرفات Fernan Gonzalez أمير قشتالة بعيدة عن القانون الأخلاقي ، فهــو

١ - Aschbach, *Geschichte*, I, p. 352; Reinaud, *Muslim Colonies*, p. 238.

٢ ـ الرغبة في استمرار العداوة بين المسلمين والمسيحيين ، لو أتت من عامة الناس الجهلاء ، لما استغربنا ولكن الغريب أن يكون ذلك بتأثير وتحريض رجال الكنيسة الذين يجب أن يدعوا الى الحب والصداقة مــع الجميــع .

٣ ـ عنان، **دولة الإسلام** ، ١ / ٢١٦ .

يعتبر رفضَ هذا الأمير مصادقةَ المسلمين، أعداءَ دينه ووطنه ، من أعظم مفاخره [١] .

وحتى المُستَعْرَبين ، الذين سكنوا مع المسلمين ، في الأندلس ، وخالطوهم وعاشوا معهم بحرية ، وجدوا من بين المتعصبين من انتقدهم ، لرضاهم واستسلامهم للعادات الإسلامية وعلى استعمالهم اللغة العربية . وذلك واضح في الوثيقــة الهــامة « Indiculus Luminosus » الــتي كُتبت سنة ٢٤٠ / ٨٥٤ بواسطة مؤلف قرطبي معاصر لمجريات الأمور هو« الفارو القرطبي Alvarus Cordubensis »[٢]. ولقد وصلت موجه التعصب هذه إلى قمتها في حركة« الاستشهاد» التي بدأها بعض المُستعرَبين النصارى أيام عبد الرحمن الأوسط في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي [٣] .

١ ـ عِنان ، **دولة الإسلام** ، ٢ / ٥٤٤ .

٢ - Simonet, *Historia de los Mozarabes de Espana*, pp. 461 - 467; Lane - poole, *The Moors in Spain*, p. 90.

٣ - Lane - poole, *The Moors in Spain*, p. 84.
والترجمة العربية: **العرب في اسبانيا**، ص٧٣، ويسميه انتحارا . كان على رأس هذه الحركة راهب إسمه Eulogius وقد حث أتباعه على شتم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولعن الإسلام علناً . لقد استغل هؤلاء الحرية الدينية التي كانوا يتمتعون بها ، فذهبوا الى المساجد أوقات الصلوات لإسماع المسلمين هذه الشتائم (Imamuddin, *A Political History of Muslim Spain* , p. 68.).
رغم علمهم أن ذلك قد يؤدي الى الموت. وكان بعضهم قد سيق الى المحكمة ،

كان ذلك على الرغم من ان المسلمين اتبعوا سياسة التسامح الديني منذ بداية الفتح[1] ، وبأوسع معانيها، والتي كانت واضحة جداً ومتمثلة في مختلف المظاهر الحياتية ، كما سيتبين فيما بعد . وأكثر من ذلك ، فإن غير المسلمين ، مسيحيين أو يهود ، حصلو على الحرية التامة في عقيدتهم والقيام بشعائر دينهم كيفما يحبون ؛ كما استعمل الحكامُ الأندلسيون المُستَعرَبين في أعلى المناصب الإدارية وأكبرها مسؤولية ، حتى في الجيش ، مُعتَبِرين القابليات . فـ « قُومِس بن أَنْتنيان » Gomez el Cristiano بن Antoniano كان أمين سر « سكرتير » الأمير عبد الرحمن الأوسط وابنه محمد الأول وكان ممثل عبد الرحمن في مؤتمر الرهبان الذي ناقش حركة الاستشهاد هذه[2] . كما أن عدداً منهم شغل مناصب في قصر الأمير وبلاطه ، بالإضافة إلى أولئك الذين بلغوا مناصب عُليا .

وكانت هنالك بادرة طيبة أخرى من بوادر السلم ، تلك

فطلب اليهم القاضي التراجع عما قالوا فرفضوا وأُعدم بعضهم. فدعا الأمير عبد الرحمن الاوسط القُسس الى عقد مؤتمر لمعالجة الموضوع ،فاصدروا معارضتهم لهذه الأفعال .

١ – Altamira, *Historia de Espana y de la Civilizacion Espanola*, I, pp. 229 - 230 ; Reinaud, *Muslim Colonies*, pp. 87, 110, 209, 213.

٢ – ورد اسمه في **قضاة قرطبة للخُشَني** ، ص١١٠ – ١١٣ . ولا يَعتبر البعضُ أن كل هذا سليماً. انظر ابن القُوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص ١٠٢

هي تشجيع التزاوج بين المسلمين والمسيحيين ليس فقط من المُستَعرَبات المسيحيات في الأندلس ؛ بل ومن اسبانيا الشمالية نفسها . وكما كان هذا التزاوج مألوفاً بين عامة الناس ، كان كذلك بين حكام الأندلس . فكان الخليفة عبد الرحمن الثالث « الناصر لدين الله » حفيد أميرة نافارية. إذ أن جد الناصر ، الأمير عبد الله بن محمد الأول بن عبد الرحمن الأوسط ، تزوج من ونقا (Iniga (Onneca البَشْكُنْسية ، بنت فرتون Fortun بن غرسيه Garcia المعروف بـ « الأنْقَر »[1]. و Iniga هذه تُعرف في المصادر العربية بـ « دُرّ »[2] ، فهي أم محمد[3] ، أبي عبد الرحمن الناصر . كما كانت أم

---

١ – كانت Iniga قبل ذلك زوجةً لـ Aznar Sanchez البشكنسي ، فلما ترملت تزوجت بالأمير عبدالله . ويظهر من أحد النصوص اللاتينية إن Iniga هذه هي أم طوطة Toda ، ملكة نبارة ، التي تكون بناء على ذلك عمة الناصر . انظر :

Oliver y Hurtado, *Discursos leidos ante la Real Academia de la Historia de Madrid, No.* 2, vol III, p. 107.

٢ – ابن عِذاري ، **البيان المغْرب**، ٢ / ١٥١ .

٣ – محمد هذا، هو أبو عبد الرحمن الناصر ، وابن الأمير عبد الله، قُتل (قبل أن يتولى حكماً) سنة ٢٧٧ / ٨٩١ وله من العمر ٢٧ سنة ، في الوقت الذي كان عمر ابنه عبد الرحمن الناصر ثلاثة أسابيع . فكان الأمير عبدالله مولعا ومهتما جدا بهذا الحفيد فأسكنه قصره ، وكان يرعاه ويشرف على تربيته ، ثم جعله كاتبا له ثم وريثَ عرشه .

الناصر من شمال إسبانيا ، ومن البَشْكُنْس أيضاً ، واسمها في المصادر الإسلامية مُزْنَة[1] . وأخيراً وليس آخراً فإن الخليفة الحكم المستنصر تزوج بِبَشْكُنْسية اسمها صُبْح ،وهي أم هشام المُؤيّد الذي ورث أباه الحَكَم[2] .

* * *

كان المسلمون يرغبون في السلم والمحافظة عليه ، وقلما ينقضون عهودهم ، حتى في حالات تفوقهم العسكري ، وكثيرة هي . وبعد مجيء عبد الرحمن الداخل ، لم يبدأوا بعدوان ، وكانت أغلب حروبهم في هذه الفترة دفاعية أو رداً لهجوم . كما أن بقاء مسلمين في الأراضي المسيحية يوحي برغبة التعايش .

فكل هذه البوادر لو وَجدت الاستجابة لكان بالإمكان أن يتم التعايش بين دولتين مختلفتين ديناً وبين دينين في دولة واحدة ، كما عاش المسيحيون في الدولة الإسلامية .

بعد نجاة عبد الرحمن بن معاوية[3] من المذبحة العامة التي

---

١ ـ لعلهن أسلمن قبل أو بعد الزواج .

٢ ـ راجع : **أندلسيات** (المجموعة الاولى) ، ص ٧٨ .

٣ ـ هو حفيد هشام بن عبد الملك الخليفة العاشر للدولة الأموية في الشام، ويلقب بالداخل، لأنه اول من دخل الأندلس من بني أمية وحكمها. وسماه أبو جعفر المنصور العباسي « صقر قريش» . كما سُمّي « امير » ، حتى اتى الناصر فأعلن الخلافة . انظر : المقّري ، **نفح الطيب** (طبعة القاهرة) ، ١ / ٣٠٩ . ويُعرف أيضاً بعبد الرحمن الاول لأنه أول أمراء أندلسيين ثلاثة يحملون هذا الإسم، هم: هو (الداخل) وعبد الرحمن الثاني (الأوسط) وعبد الرحمن الثالث « الناصر لدين الله » .

أشهرها العباسيون ضد الأمويين ، بعد زوال دولتهم في الشام في ١٣٢ / ٧٥٠ ، وهروبه عن طريق شمال افريقية ، رسى مركبه بالأندلس على ساحل مقاطعة إلبيرة **Elvira** في ثغر المُنَكّب **Almunecar** في غرة ربيع الأول ١٣٨ / ٧٥٥. ثم بدأ نشاطه لتأسيس دولة في شبه الجزيرة الإيبيرية . تلك المهمة كلفته جهداً ووقتاً كبيرين ، حيث لم تكن الأحوال مستقرة وطلاب السلطة المنافسون عنيدون أقوياء . وبحزمه ودهائه استطاع تحقيق ذلك ؛ واتخذ من قرطبة عاصمة له . ومن ناحية أخرى فإن الدولة المسيحية في الشمال كانت في طور التكوين وتود التوسع على حساب الأراضي الإسلامية ، فكان عليه أن يقوم بردها .

* * *

لم تقم علاقات دبلوماسية هامة في أيام الداخل ، وبعده بفترة ، مع اسبانيا الشمالية التي لم تكن قد ظهرت إلى الوجود بشكل واضح . وكان عبد الرحمن الداخل يرحب بكل سلم ومهادنة ، وتلك كانت السياسة الإسلامية في الأندلس ، خاصة وقد كان يكرس جهوده ، كمؤسس دولة ، لقمع الثائرين وإقرار الأحوال .

ففي صفر ١٤٢ / حزيران (يونيو) ٧٥٩ ، يُبرَم في قُرطبة عقدُ أمان وسلام بين الداخل وبين مسيحيي الشمال ، وهذا هو نَص العقد :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتابُ أمانِ الملكِ العظيم

عبد الرحمن ، للبطارقة والرهبان والأعيان والنصارى والأندلسيين أهل قَشْتَالَة ومن تَبِعَهم من سائر البلدان . كتابُ أمانٍ وسلام ، وشهِد على نفسه أن عهده لا يُنسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من الفضة ، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل ، ومثلها من البغال ، مع ألف درع وألف بيضة ، ومثلها من الرماح ، في كل عام إلى خمس سنين . كُتِبَ بمدينة قرطبة ثلاث صَفَر عام اثنين وأربعين ومائة »[1] .

وذلك يعني أن سفارة من الشمال حضرت إلى قرطبة لعقد هذه المعاهدة . ولكن ليس لدينا أي تفصيلات أخرى عن هذه السفارة أو المعاهدة ولا اسم الحاكم المسيحي الذي أُبْرِمَت معه . ومن تاريخها أنها كانت أيام فرويلا الأول Fruela I (١٤٠ – ١٥١ / ٧٥٧ – ٧٦٨) ، الذي استولى على بعض المناطق الإسلامية فور مجيئه إلى الحكم .[2] ويظهر أن هذه المعاهدة عُقدت بعد تلك الأحداث ، تطيباً لخواطر الدولة الإسلامية التي أصبحت قوية ، خاصة وأن

١ – Casiri, *Bebliotheca Arabico — Hispana Escurialensis*, II, p. 104.

٢ – ابن خلدون، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٢٦٥ ، ٣٨٦ . ويذكر ذلك بعد حوادث سنة ١٤١ / ٧٥٨ دون انيعطي تاريخا معينا ؛ ابن حيان ، نقله المقري في **النفح** (طبعة القاهرة) ، ١ / ٣٠٩ .

تاريخ عقدها هو نفس السنة التي قُتل فيها يوسف بن عبد الرحمن الفِهْري ، والي الأندلس السابق ، وتوفي الصُّمَيْل ابن حاتم ، في السجن . فتخلص الداخل من أكبر منافسيْن، وأصبح سيد الأندلس . فجاء هؤلاء الشماليون يطلبون الصلح ، خاصة إن الحالة الداخلية هناك كانت غير مستقرة ، حيث قامت عدة ثورات ، الأمر الذي دفع فرويلا إلى طلب المتاركة والسلم لينصرف إلى قمعها ، وكان نفسه قد اغتيل في أحدها. فكانت هذه السفارة ضرورية لفرويلا لتحقيق تلك الأهداف وليُطَمْئن الداخل على البقية القليلة من الأندلسيين الذين لا يزالون هناك . إذ أن وجود كلمة « الأندلسيين » في عقد الأمان هذا تدل على أنه لا تزال بقية منهم في غاليسية Galicia .

وحتى لو اعتبرنا أن هذه الأرقام المالية الواردة في المعاهدة ، مُبالَغاً فيها[1]، فإنها تضع أيدينا على أن المبلغ المدفوع كان كبيراً ؛ ولعل فيه تعويضاً عما لحق المسلمين في Galicia وغيرها . وإني وإن كنت أشارك الأستاذ عنان شكّه ، لكني أخالف Urbel و Levi - Provençal في شكهما في الوثيقة[2]، « معاهدة الأمان » نفسها، خاصة وليس لديهما حجة حاسمة ترجح كفة إنكارها . كما لا يوجد أي داعٍ لوضعها واختلاقها ، إضافة إلى أن منكريها لم يقدموا

١ – عنان ، **دولة الإسلام** ، ١ / ١٩٦ حاشية رقم ١ . وهو يشك في الأرقام المالية أو المبلغية ، خاصة بالنسبة لموارد الدولة المسيحية الناشئة .

٢ – Urbel, *Historia de Espana Cristiana*, VI, pp. 36-7; Levi-Provençal, *Historia de Espana Musulmana*, IV, 77.

دليلا يسند رأيهم . هذا مع أخذِنا بعين الاعتبار الظروف
التي تمت فيها المعاهدة ، وساعدت على ذلك . وإن Urbel
نفسه يـذكر أن عبد الرحمن الداخل ، أيـام فرويلا ،
أصبح قوياً ، مما جعل فرويلا عاجزاً عن إتمام عمل والده .
وإذا أضفنا ذلك إلى كثرة الثورات الداخلية أيامه ، والتي
أودت بحياته ، الظروفَ الأخرى التي تمت فيها المعاهدة ، والتي
سبق شرحها نرى أن كل هذه الظروف التي سبقت وصاحبت
زمن عقدها ترجح كفة صحتها وتسند واقعيتها ووجودها .
علماً أن راويها عالم ثقة ، هو ابن الخطيب[١] أو أحمد الرازي .
ولا بأس من أن أذكر بأنني ذهبت إلى مكتبة الاسكوريال
El Escorial واطلعت على مخطوطتيْ **الإحاطة** لابن
الخطيب ، رقم : ١٦٧٣ ، ص ٢٣٩، ورقم : ١٦٧٤، ص
١٣٩ ، فلم أستطع العثور على نص هذه المعاهدة فيهما .
فهل كانت ضمن **إحاطة** ابن الخطيب وفُقدت منها ؟ وفي
هذه الحالة يحتمل أنها في مجموعة أوراق الدشت Legajos ،
وهي عبارة عن متفرقات جُمعت إلى بعضها .
فهل ان الأستاذ عِنان والمستشرق الفرنسي Levi —
Provençal اطلعا على هذا النص ، في **الإحاطة** ، بأنفسهما ؟
ذلك قليل الاحتمال ؛ حيث لم يشيرا إلى صفحة . كما أن
Levi — Pronençal يقول ان النص مذكور في كتاب

---

١ ـ عنان ، **دولة الإسلام** ، ١ / ١٩٦ ؛
Levi-Provençal, *Historia de Espana Musumana*, IV,p. 123 no.22.

مشارع الأسواق تأليف : أحمد النحاس الدمياطي ، وهذا
النص موجود في الفصل ٣٢ ، وهو غير موجود في طبعة
بولاق لهذا الكتاب ، لكنه موجود في المخطوطة التي لم يُشر
إلى رقمها أو مكان وجودها[١] !؟

لعل الذين ذكروا أن نص المعاهدة في **الإحاطة** قالوا
بذلك بعد اطلاعهم على فهرست الغزيري Casiri، الذي يوردها
حين الحديث عن مخطوطات **الإحاطة** ، واقتباس نصوص
منها ، فقرروا بناء على ذلك أن نص المعاهدة لا بد أن يكون
في **الإحاطة** . والذي فهمته أن الغزيري نقل قولاً لابن الخطيب
عن عبد الرحمن الداخل ؛ والغريزي بالمناسبة أورد نص المعاهدة
التي عقدها الداخل مع أهل الشمال . ولكنه ، أي الغزيري ،
يقول إن هذه المعاهدة جاءت في كتاب للرازي (أحمد بن
محمد) الذي يُعرف في الغرب باسم Moro Rasis.
ولقد أعطى اسم الكتاب باللاتينية هكذا « *Bello
Hispano* » أي « معركة اسبانيا » ولعله مثلا « افتتاح
الأندلس » . وهذا الكتاب ـ كغيره من كتب الرازي ـ ضاعت
مع ما ضاع من تراثنا ، فلم تبق إلا أسماؤها أو بعض مقتبسات
منها . فهل يكون كتاب الرازي هذا ، الذي نقل منه الغزيري
المعاهدة ، هو « **أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم**

---

١ ـ Levi - Provençal, *Histoire de l'Espagne Musulmane*, I, p. 116.

ونكباتهم » ؟ ذلك محتمل . (١)

• • •

لقد دفعت المصلحة المشتركة إلى تعاون البَشْكُنْس مع المسلمين في مهاجمة مؤخرة جيش شارلمان (٢) إمبراطور الافرنج ، في ممر باب الشِزْرى Roncesvalles ، وهو يعبر جبال البُرْتات Pyreness عائداً إلى بلده ، بعد فشله في فتح سَرَقُسْطة Zaragoza في شمال الأندلس . وهذا تعاون عابر ؛ ولكن مهاجمة شارلمان Charlemagne لبنبلونة Pamplona وعدم زوال خوف البشكنس منه ، ورؤية نتيجة ذلك التعاون العابر ، كل ذلك أثمر استمرار العلاقات الطيبة بين الطرفين . فإن أورالي (أوريليو Aurelio) ابن Fruela أخو الفونسو Alfonso I ، وكان حاكم نَبَارّة Navarre رغب في التحالف مع المسلمين ، فسادت فترة سلام ، بدأت منذ وفاة Fruela I استمرت حوالى عشرين سنة ، حتى وفاة Mauregato . وكان الأخير و Silo و Aurelio ، كانوا راغبين في تكوين علاقات ودية مع المسلمين . إن ذلك أنفع وأجدى على الطرفين ، خاصة وان الأحوال الداخلية في Galicia

١ – انظر رسالة ابن حزم في **النفح** للمقري(طبعةالقاهرة) ، ١٦٦/٤ .

٢ – كان شارلمان قد هاجم عاصمة البشكنس ، بنبلونة ،وخربها في ذهابه وعودته من محاصرة سرقسطة الإسلامية في ١٦١ / ٧٧٨ ، وكان معه بعض الأسرى المسلمين .

كانت مضطربة ؛ فلم تقع في هذه الفترة حروب ، ولا حتى مع Galicia . وحينما توفي Aurelio في ١٦٥ / ٧٨١ ضُمت منطقته إلى Galicia تحت حكم Silo الذي عقد بدوره صلحاً مع المسلمين ، ولكنه توفي بعد ذلك بثلاث سنوات (١) . ولما لم يترك Silo عَقِباً فقد أوصى بالمُلك لـ Alfonso II العفيف el Gasto وكان لا يزال طفلا الأمر الذي مكن Mauregato من الاستقلال بجليقية الغربية . وكان مورقاط قد تحالف مع المسلمين وبالغ في التودد اليهم ، مما دعا حزب Alfonso إلى التحالف – كرد فعل – مع الفرنج Franks . وكان مورقاط هو الذي دعا وشجع المسيحيات على التزوج من المسلمين (٢) ولكن دعوته لم تجد ترحيباً ، كما سبق بيانه .

وفي أيام هشام الأول وابنه الحكم الأول لا نشاهد علاقات ودية ذات قيمة ، غير أن هشاماً قام بغزوة إلى Galicia في ١٧٥ / ٧٩١ ، رداً على تحرشات البَشْكُنْس والجلالقة ، بتحريض من الفرنج ، على الأراضي الاسلامية ، شجعهم على ذلك انشغال قرطبة ببعض الثورات الداخلية (٣) . وكان ذلك

١ – عنان ، **دولة الإسلام** ، ١ / ٢١٤ .

٢ – لو قُدر لهذه الخطوة النجاح ربما لأدت دورها في تعميق العلائق الودية بين الطرفين ، خاصة وان هذه الدعوة متفقة مع الشريعة الإسلامية التي تبيح زواج المسلم من أهل الأديان الأخرى .

٣ – عنان ، نفس المصدر ، ١ / ٢٢٣ .

أيام Vermudo . وكان من نتائجها أن هشاماً أملى صلحاً على أهالي Galicia ، واشترط عليهم نقل التراب والأحجار من الشمال إلى قرطبة [١].

أما في أيام عبد الرحمن الثاني ــ الأوسط ــ فنرى استقراراً يسود المملكة الإسلامية وتصل إلى مكانة سامية من الهيبة والنفوذ بين الدول الأخرى وتصبح مقصداً لكثير من السفارات . فتشهد قرطبة نشاطاً دبلوماسياً ممتازاً ، فكما غدت مقصداً لكثير من السفارات الواردة اليها ، أصبحت مركزاً لتوجيه الدبلوماسية الإسلامية في الغرب [٢] . وكان نتيجة لذلك أن انعدمت ، تقريباً ، العلاقات الثانوية ، أعني علاقات الثوار الأندلسيين ، مع الخارج .

وفي سنة ٢٠٨ / ٨٢٣ سيّر عبد الرحمن الأوسط جيشاً بقيادة وزيره عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، إلى Galicia رداً على هجوم Alfonso II للثغر الأعلى [٣] في مدينة سالم Medinaceli . وفرض على الجلالقة صلحاً كان من بنوده : إطلاق سراح جميع الأسرى

---

١ ــ ربما يكون تاريخها ١٧٧ / ٧٩٣. انظر : المقري ، **النفح** (طبعة القاهرة) ١ / ٣١٦؛ ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ٢ / ٦٤ ؛ ابن الأثير ، **الكامل**، ٦ / ٩٢ ؛

Murphy, *The History of The Mahometan Empire in Spain*, p 86.

٢ ــ عنان ، نفس المصدر، ١ / ٢٧٨ .

٣ــ عن الثغور راجع : البكري ، **جغرافية الأندلس واوروبا**، ص٩٥.

المسلمين ودفع مبلغ من المال وتسليم بعض الرهائن ، ضماناً لعدم اعتدائهم في المستقبل . واستمرت هذه المعاهدة ما يزيد على عشر سنوات ، واستمر السلام بين الجلالقة والمسلمين فلا نشاهد طوال هذه المدة معارك بين الطرفين . ولعل هذه المعارك التي أظهرت قوة المسلمين والمعاهدة التي تلتها أقنعت البَشْكُنْس بالكف عن مهاجمة الأراضي الإسلامية ، ومهد لهم طلب النجدة من المسلمين في ٢٠٩ / ٨٢٤ ، حين هاجم بنبلونه جيشُ لويس الأول Louis I المعروف بالتقي ، ملك الفرنج ، الذي خلف أباه شارلمان . وكان هذا الجيش بقيادة Ebles و Aznar Sanaches أمير مقاطعة Gascona . وقد وصل هذا الجيش حتى بنبلونه لإخضاع البشكنس ، الذين استنجدوا ا بالمسلمين ، فخف اليهم بنو موسى بن قَسِي ، حكام الثغر الأعلى في تطيلة بموافقة حكومة قرطبة . وبموجب حلف دفاعي ، حارب هؤلاء إلى جانب البشكنس ضد الفرنج وحدثت معركة قوية في ممر باب الشزرى، في نفس أو قرب مكان المعركة التي حدثت في ١٦١ / ٧٧٨ بين شارلمان وبين البشكنس والمسلمين . لقد أصيب الفرنج في هذه المعركة بهزيمة ساحقة وأسر القائدان ، ثم أطلق سراح Aznar Sanchez وأرسل Ebles إلى قرطبة حيث أطلق سراحه بعد مدة [١] .

---

١ ــ عنان ، دولة الاسلام، ١ / ٢٥٣ .

بدأت – بعد هذا الوقت – تظهر في نافار Navarre روح الاستقلال والتحرر التام من سيطرة الفرنج ومن تدخلهم في شؤون الإمارة ، الأمر الذي جعلهم يتوجهون للتحالف مع جيرانهم المسلمين لإسناد موقفهم وطلب العون وقت الحاجة . ومِثْلُ الحلف الدفاعي السابق لا يفي بهذه الأغراض ، فلا بد من تمديده وتثبيته وتوسيع نطاقه ؛ فكل الأسباب المذكورة كانت مهيئة لذلك ، فكانت الرغبة صادقة في إنشاء علاقات ودية .

وهكذا أُرسلت سفارة نافارية إلى بلاط عبد الرحمن الأوسط لهذا الغرض ، وأُبْرِمَت معاهدة بين الطرفين ؛ على أن يحمي المسلمون نافار وحاكمها من أي اعتداء خارجي ويساعد النافاريون المسلمين حين يريدون عبور البُرْتات Pyrenees إلى فرنسا. وبعد وفاة Azur أمير نافار عاد البشكنس – النافاريون – إلى مهاجمة الأراضي الإسلامية . وإن الذي هاجمها هو Garcia Iniguez المتغلب على العرش ، بعد أن تحالف مع موسى بن موسى بن قَسِي ، الذي خرج على طاعة قرطبة يومها . فسار عبد الرحمن الثاني في ٢٢٨ / ٨٤٢ اليهما فأخضع تُطيْلَة Tudela مركز بني قسي وسار إلى البشكنْس فأحرز نصراً على القوة المتحدة واضطر البَشكُنس إلى طلب الصلح والأمان [١]. ولكن البشكنس عادوا إلى

---

١ – العذري ، **نصوص عن الأندلس** ، ص ٣٠ .

النقض في ٢٣٥ / ٨٥٠ ، ثم عادوا فطلبوا الصلح والأمان ، في نفس السنة ، بعد أن رد المسلمون هجومهم [١] .

صحب مجيىء الفونس الثالث إلى السلطة محاولات عائلية ضده انتهت بمعاقبة إخوانه ، الذين لم ينج أحد منهم إلا Vermudo. واستطاع هـذا الفرارَ من Oviedo إلى Astorgo ، والاستقلال بحكمها ، بمساعدة المسلمين لسبعة أعوام . وفي ٢٦٤ / ٨٧٨ حاول المسلمون غزو ليون Leon واسترقة . وربما كان ذلك حمايةً لـ Vermudo أو بطلب منه وانتقاماً لاعتداء سابق. ولكن الفونسو استطاع أن يهزمهم على مقربة من سَمُورة Zamora وأتْبَع ذلك بأن شن الحرب على أخيه حتى اضطره على الفرار من استرقة. وهذا ربما يقوي ماسبق ذكره من أن الحملة التي قام بها المسلمون كانت بدعوة من Vermudo مما جعل الفونسو لا يتهاون في الأمر ، الذي أصبح أكثر من مجرد أمير مستقل عن السلطة المركزية ، بل خاف توسعه ، كما أصبح مصدراً للمتاعب يهدد سلطته . وكان Vermudo بعد فراره قد التجأ إلى المسلمين .

وفي ٢٦٨ / ٨٨٢ ، سير الأمير محمد جيشاً بقيادة ولده المنذر إلى مملكة ليون ، ولكن جرت مفاوضات انتهت بعقد هدنة لم تدم طويلا حيث أن الفونسو في ٢٧٠ / ٨٨٣ أيد

---

١ – ابن حيان ، **مجلة الأندلس** (١٩٥٤) ، ص ٣٠٤ .

بني قَسِي ، الذين خرجوا على سلطة قرطبة [١]. فسير الأمير محمد ثانية جيشاً بقيادة ابنه المنذر وانتهت هذا الحملة كسابقتها بمفاوضات أدت إلى هدنه وصلح [٢]. وكان هذا الصلح أكثر جدية وأطول عمراً مـن سابقه . وكان مـن نتائجه أن أرسل الفونسو الثالث إلى قرطبة سفيراً هـو Dulcidio أسْقُف سَلَمَنْقَة Salamanca ، للاتفاق على قواعد الصلح ونجح السفير في مهمته وعاد إلى أوفيدو Oviedo ، عاصمة ليون يومئذ ، ومعه رفاة الشهيدين Eulogio و Leocricia . ونـلاحظ أن التهـادن والسلام بـين مملكة ليون وقرطبة يسود أكثر عهد الأمير محمد وابنيه المنذر وعبد الله تقريباً [٣] .

وفي عهد الناصر وابنه الحكم الثاني « المستنصر بالله » نشاهد استقراراً تزدهر فيه كافة المناشط الانسانية التي تكون نتيجة الاستقرار ، حيث بلغت الدولة الأندلسية مكانة الصدارة في العالمين الإسلامي والمسيحي ، واعتُرِف عالمياً بالناصر على أنه أقوى ملوك زمانه [٤]. فكثرت الوفود والسفارات من كل جانب قاصدةً الأندلس ، تخطب ودّ قُرطبة وترغب

١ – ايواء الاعداء كثيراً ما كان سبباً في إنهاء المعاهدات وإثارة الحرب .

٢ – عنان ، دولة الإسلام ، ١ / ٢٩٩ .

٣ – عنان ، ٢ / ٣٦٣ .

٤ – Hole, *Andalus , Spain under the Muslims*, p. 90.

في عقد السلام معها . وبلغت هذه الرغبة في كسب صداقة الناصر ، باعتباره زعيم العالم الإسلامي ، درجة كبيرة في النصف الثاني من حكمه ، حيث كان قد انتهى من قمع الثائرين الذين كانوا قبل مجيئه للحكم ، وساد السلام البلاد ، فكان ملوك أوروبا المجاورين يهابونه ويلطفونه بالهدايا والسفارات وكذا الحال مع ابنه . وكان طبيعياً أن تكون دول اسبانيا المسيحية من أكثر الدول وفوداً – إن لم يكن أكثرها قاطبة – إلى قرطبة بحكم جوارها . حتى لقد كان الأمراء المسيحيون يحتكمون اليها في الخلافات التي تقع بينهم . ويُفهم مما يذكره ابن خلدون [١] أن طُوطَة Toda ، وصية عرش نَبَارّة ، عقدت مع الناصر سلماً وحصلت على اعترافه بابنها Garcia Sanchez I ملكاً على نبارة Nevarre ، وذلك في ٣٢٢ / ٩٣٤ أثناء مسيرته العسكرية إلى الشمال . لكنها نقضت عهدها في ٣٢٥ / ٩٣٧ ، حين تحالفت مع Ramiro II ملك ليون Leon مع الثائر محمد التُجيبي حـاكم سرقُسْطة Zaragoza . فسار النـاصر ضدهم وسحق كل مقاومة . فسارعت طوطة معلنة خضوعها والعودة إلى عهدها ، فقبل الناصر ذلك وأقر ولدها ملكاً على نَبَارّة . لكنها عادت ثانية إلى النقض في ٣٢٧ / ٩٣٩ حين اشتركت مع راميرو الثاني ، في معركة الخندق Alhandoega ضد النـــاصر .

١ – العبر ، ٤ / ٢ / ٣٠٨ .

ويذكر العُذري [١] أنه بعد معركة الخندق هذه التي كانت في شوال ٣٢٧/ آب (أغسطس) **٩٣٩**، ودارت بين جيش الناصر وبين جيش طوطة وصية عرش نافار وراميرو الثاني ملك ليون، مال الأخير إلى السلم مع الناصر، الذي استجاب له. ولكن العذري لم يعين تاريخ معاهدة السلام هذه. ويُستنتج أنها – أي معاهدة السلم – كانت بعد معركة الخندق بسنتين، وذلك لسببين:

الأول: ان راميرو الثاني كان يَعرف قوة المسلمين، خاصة أيام الناصر، وإن هزيمتهم في الخندق تعني أنهم سوف يستعدون للانتقام. وتأكد لراميرو ظنه هذا حين هاجم المسلمون ليون في **٣٢٩/ ٩٤١**، ولعل معاهدة السلام انعقدت خلال هذه الحملة.

الثاني: كان من نتائج معاهدة السلام هذه إطلاق سراح محمد بن هاشم التجيبي، قائد الثغر الأعلى، الذي أسره راميرو في معركة الخندق، فكانت المدة بين أسره ووصوله قرطبة – مطلقاً سراحه – يقارب سنتين وأربعة أشهر. فمن المعقول أن يكون السلام عقد بين الطرفين بعد حوالى سنتين من معركة الخندق.

وفي **٣٤٤/ ٩٥٥** بعث Ordono III بن Ramiro II ملك ليون، سفارة إلى الناصر يخطب وده، راغباً في الاتفاق

١ – **نصوص عن الأندلس**، ص ٤٦.

لعقد معاهدة سلم بين الطرفين. يتعهد أردونيو بموجبها هدم بعض الحصون القريبة من الحدود الإسلامية، والتي قد تُتخذ قاعدة لشن هجوم على الأندلس. وكانت هذه المعاهدة ذات أهمية وفائدة لأردونيو حيث طالما تمرد أشراف ليون على سلطته، كما كانت تقوم أحياناً حروب بين المتنافسين على السلطة. وكان أخوه شانجه **Sancho** المعروف بالسمين **el Gordo** ينازعه على العرش، فكانت بينهما معركة: شانجه يعاونه أخواله النافاريون و**Frenan Gonzalez** حاكم قشتالة، ولكن أردونيو استطاع أن يهزم الجيش المتحد. ومن هنا كانت المعاهدة السابقة التي عقدت بينه وبين المسلمين، والتي تلت هذا الصراع، مفيدة له كي يتجه إلى شؤون مملكته. كما كانت في عين الوقت، مفيدة للمسلمين ليحصروا جهودهم الحربية في مواجهة الخطر الفاطمي، الذي بلغ أوجه في مهاجمة ميناء المَرِيّة **Almeria** في السنة نفسها؛ ويقوم الأسطول الأندلسي رداً على ذلك، بمهاجمة بعض السواحل الافريقية التابعة للفاطميين [١].

ولأهمية هذه المعاهدة لأردونيو الثالث Ordono III فقد رغب في استمرارها، بل وتأكيدها. فأرسل في السنة التالية **٣٤٥/ ٩٥٦** سفارة أخرى إلى قرطبة [٢]، لتتميم

١ – أحمد مختار العبادي، سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس، **صحيفة معهد الدراسات الاسلامية** (المجلد الخامس)، ص ٢٠٨.

٢ – ابن خلدون، **العبر**، ٤/ ٢/ ٣١٠.

ما بدأ به من المداولات لعقد معاهدة بالشكل النهائي ، حيث وافق على هدم بعض الحصون وتصليح البعض الآخر [1] وتأكيد صلات الصداقة .

وها نحن نجد أنفسنا أمام عقدة . فابن خلدون يذكر سفارتين من أردونيو الثالث في سنتين متتاليتين دون أي تفصيل ؛ بينما يذكر ابن عِذاري سفارة واحدة من أردونيو هذا ، ويضعها في ٣٤٥/ ٩٥٦ [2] أي السفارة الثانية عند ابن خلدون . وكل ذلك دون تعيين اليوم أو الشهر ، وليست لدينا مصادر أصلية أخرى عن هاتين السفارتين . ومن ناحية أخرى فإن تاريخ وفاة أردونيو الثالث مختلَف فيه ، حتى أن البعض يجعلها قبل سفارته الثانية . والأرجح أن وفاته كانت في أواخر ٣٤٥ / ٩٥٦ . أما السفارتان ، فابن خلدون يذكرهما باختصار كبير أشبه بالعنوان ، على عادته ، أحياناً في مثل هذه الأمور . فيذكر سفارتين من Ordono III إلى الناصر : الأولى في ٣٤٤ / ٩٥٥ ، والثانية في السنة التي تليها . أما رواية ابن عِذاري ، فهي رغم قصرها أكثر تفصيلا ، وتلقي ضوءاً خافتاً على الموضوع . فيذكر أنه في ٣٤٥/ ٩٥٦ عاد محمد بن حسين وحَسْداي بن شبروط ، سفيرا الناصر إلى أرْدون Ordono III بن رُودْمير ،

١ – ابن خلدون ، نفس المصدر والصفحة ؛ ابن عِذاري ، **البيان المُغْرِب** ، ٢/ ٢٢١ .

٢ – عنان ، **دولة الإسلام** ، ٢/ ٥٤٠ .

يحملان كتابه إلى الناصر ، الذي يعبر فيه عن رغبته في الصلح . ويمكن توجيه الموضوع على النحو التالي: ذلك أن Ordono III أرسل في ٣٤٤ / ٩٥٥ إلى الناصر سفارة يطلب الصلح وعقد معاهدة سلام بين الطرفين — وخاصة إنه كان في ظروف صعبة كما مر بنا — فأجابه الناصر لذلك ، موافقاً على العرض ومرحباً به . وأرسل الناصر اليه ، في السنة التالية سفارة جوابية لإتمام ما بدأوه في قرطبة . وكانت السفارة مكونة من محمد بن حسين ، لعله أحد مستشاري الخليفة ، وحسداي بن شبروط. ولا شك في أن الخليفة قد زودهما بالتعليمات المطلوبة. فتمت المفاوضات ووضعت الشروط والبنود وعاد الوفد القرطبي برفقة سفراء Ordono III الى قرطبة ، لإتمام ما قد يثار من نقاط جديدة، ولوضع المعاهدة بالشكل النهائي والتصديق عليها. وبعد إنتهاء هذه المراسيم عاد الوفد الليوني الى بلده . إن عبارة ابن عذاري نفسه توحي لنا بحضور السفارة الليونية الثانية ، التي جاءت الى قرطبة مع الوفد الأندلسي وذلك يتفق مع ما ذكره ابن خلدون . فيذكر ابن عِذاري إن رُسُل اردون إنصرفت بعد ذلك . [1]

١ – ابن عذاري ، **البيان**، ٢ / ٢٢١ . وروايته هي « وفيها (٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) قدم محمد بن حسين رسولاً كان من الناصر الى الطاغية أُرْدُون ابن رُدْمير ملك جليقية ، ومعه حسداي بن شبروط اليهودي، بكتابه الى الناصر ، راغباً منه في الصلح ، فأسعفه الناصر في ذلك على إختيار ولده الحكم ، واشترط على الطاغية شروط ؛ وانصرفت رُسُله بذلك » .

وبعد وفاة Ordono III خلفه أخوه Sancho I الذي رفض تنفيذ المعاهدة السابقة التي عقدها سلفه مع الناصر . فما كان من الناصر إلا أن أعلن الحرب وبعث قائده أحمد بن يَعْلَى ، حاكم طليطلة Toledo ، فاضطر Sancho الى الإقرار بالمعاهدة التي أبرمها أخوه ،والى عقد صلح مع قرطبة. ويسود السلم بين الطرفين الى حين . ثم حدث أن ثار أشراف ليون في ٣٤٧ / ٩٥٨ ضد Sancho I المعروف بالسمين el Gordo لإسباب كان منها :إن بدانته الفائقة تمنعه من ركوب الخيل ومن قيادة الجيوش ، حتى بلغت حداً لا يكاد يستطيع المشيء من غير أن يسنده شخصان فخلعوه . ثم اختاروا مكانه اردونيو الرابع Ordono IV المعروف بالرديء el Malo وهو ابن Alfonso IV . فالتجأ الملك المخلوع إلى بنبلونه Pamplona مستجيراً بجدته طوطه ، ملكة نَبَارّة .

لم تكن هذه قادرة على مساعدته في إعادته إلى العرش ، الذي يتطلب أمرين : معالجته من سمنته التي كان ضحيتها ، والتي فشل الأطباء ، الذين استشارهم في معالجته ؛ ومدّه بالقوة الكافية لهذا الغرض . فما كان منها إلا أن اتجهت إلى الناصر تطلب مساعدته في هذه الأمور ، فأرسلت اليه سفرائها في نفس السنة ، فاستجاب لها الناصر وأرسل حسداي بن شبروط.

نجح السفير في مهمته ، وقُبلت شروط الخليفة التي زوّد بها السفير ، وهي أن تُسلم بعض الحصون التي تقع على حدود الاندلس ، وان تحضر الملكة طُوطَة وشانجة Sancho وغرسيه Garcia الى قرطبة . فكان هذا الاتفاق بمثابة الموافقة المبدئية .

وفعلا فقد حضرت الملكة طوطه في ٣٤٧/٩٥٨ مع ابنها Garcia وحفيدها Sancho الى بَلاط الخليفة ، تصحبهم جماعة من الأحبار والأعيان [1]. حضر الوفد إلى قرطبة لوضع المعاهدة بالشكل النهائي أمام الخليفة ، ولإتمام معالجة Sancho مما يبدو أن حسداي بدأ علاجه في نبَارّة وأتمه في قرطبة . واحتفل الناصر لمقدمهم واستقبلهم في حفل ضخم وأُبهة عظيمة بالقصر الخليفي بمدينة الزهراء ، بقاعة السفراء المسماة « **المجلس المؤنس** » . وتم الاتفاق النهائي على كافة النقاط وحققت السفارة الأغراض المرجوة منها بالنسبة للطرفين. عُقدت بين الطرفين معاهدة سلام وصداقة، اعترف الناصر بموجبها بغرسيه Garcia بن طوطه Toda ملكاً على نافار ، وكانت وصيته وتحكم باسمه . ومن ناحية أخرى تم الاتفاق مع Sancho على تسليم عشرة حصون على حدود الأندلس والتعهد بعدم مهاجمة الأراضي الإسلامية على أن يقوم الناصر بمساعدته على إعادة عرشه . وفعلا فقد شُفي من سمنته المفرطة [2] ، كما أمده الناصر عسكرياً لإعادة عرشه .

١ – ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٠ .
٢ – حتي ، **تاريخ العرب** ، ٢ / ٦٢٤ .

فتغلب على سَمُورة Zamora في ٣٤٨/٩٥٩ واوفيدو Oviedo في السنة التالية وعاد إلى عرشه . أما أوردنيو Ordono فقد فر إلى بُرْغش Burgos ، وأخذَ Fernan Gonzalez (مناصر Ordono) أسيراً . ولعل من الأسباب التي دعت الناصر إلى مساعدة Sancho I — بالإضافة إلى ضمان كف الاعتداء — المعاهدة التي كانت بينهما قبل خلع Sancho I واعتبار Ordono IV مغتصباً للمُلك من صاحبه الشرعي . ولذلك فإن Ordono حينما التجأ أولا إلى Asturias طرده أهلها وسلموا منطقتهم إلى Sancho I . وبعد أن تم لـ Sancho I ما يريد أرسل إلى الخليفة سفارة يشكره فيها على صنيعه له ، واستمر على علاقة طيبة مع الأندلس حتى آخر حكم الناصر في ٣٠٠ / ٩٦١ [١] .

* * *

لقد اعتاد بعض حكام دول اسبانية المسيحية نقض عهودهم لأول فرصة تلوح ، خاصة في فترات انشغال الحكومة الإسلامية داخلياً ، ظناً بضعفها ؛ ويصاحبهم نفس الظن أحياناً بمجيء حاكم جديد . فما أن توفي الناصر لدين الله ، في ٢ رمضان ٣٥٠ / ١٥ تشرين الأول (اكتوبر) ٩٦١ وخلفه ابنه الحكم الثاني (المستنصر بالله) ، حتى نقض Sancho I ملك ليون المعاهدة التي عقدها مع الناصر . فلما طالبه الحكم بتسليم الحصون ، وطالب Garcia ملك نافار ، بتسليم أسيره Fernan Gonzalez أمير قشتالة رفض الملكان هذه المطاليب ،

١ — ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١١ .

وأطلق سراح Fernan الذي عاد إلى عاصمته Burgos . وكان قد أعلن استقلال قشتالة عن ليون [١] . وبدأ غاراته على الأراضي الإسلامية ، يعاونه في هذا الهجوم Ordono IV [٢] . لقد ظن هؤلاء أن الحكَم رجلُ معرفة وثقافة لا رجل حرب . ولكنه أثبت لهم — فيما بعد — أنه رجل حرب إلى جانب كونه رجل معرفة ، وأن العالِم يمكن أن يكون كذلك جندياً مقداماً سواءً بسواء . ولكن لشدة رغبة الحكم في السلم لم يقم بهجوم مضاد ، فما زادهم ذلك إلا تمادياً . وعندها لم يجد الحكَم بُدّاً من الاستعداد للحرب ، فأصدر أوامره إلى القادة بالتأهب لرد هذا العدوان [٣] . أما Ordono فلعله أدرك أن مثل هذه الهجومات ضد الأراضي الإسلامية تقوي مركز خصمه Sancho I ، الذي ربما يهرع إلى تصفية الجو مع الحكم — كما يقول ابن خلدون — [٤] زيادة في التنكيل . وهذا التعليل صحيح ، ولعل أهم منه علم Ordono بالتعبئة العسكرية التي أعلنها الحكم [٥] . أضف إلى ذلك ضعف مركز Ordono . فرأى من الخير التصرف بشكل آخر أجدى عليه ، وخاصة أن Sancho نقض المعاهدة ، فلمَ لا يستغل

١ — ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، ص ٣٢٥ .
٢ — ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٤ ؛ المقري ، **النفح** (طبعة القاهرة) ، ١ / ٣٦٥ .
٣ — ابن عذاري ، **البيان** ، ٢ / ٢٣٥ .
٤ — **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٤ .
٥ — المقري ، **النفح** (طبعة القاهرة) ، ١ / ٣٦٥ .

هذه الظروف للعودة إلى العرش ، بالاستعانة بالحكم لا بالوقوف ضده ؟ فتوجه الى غالب الناصري ، حاكم الثغر الأعلى في مدينة سالم Medinaceli ، عاصمة الثغر ، وطلب اليه أن يصحبه إلى الخليفة ، دون مقدمات أو عهد سابق . وذلك ما تم فعلا ، حيث اتصل غالب بالخليفة ، الذي طلب اليه مرافقة Ordono الى قرطبة ،من غير أن يعطيه الخليفة وعداً بالمعاونة .

وفي نهاية صفر ٣٥١ / ٨ نيسان (ابريل) ٩٦٢ وصل Ordono إلى قرطبة في عشرين رجلا من وجوه أصحابه ، يصحبهم غالب الناصري [١] ، لطلب عون الحكم ومساعدته ضد Sancho I في إعادته إلى عرشه . وكان يوم استقبالهم يوماً مشهوداً وصفه ابن حيّان ، كما وصف المشاهد السفارية الأخرى، التي للأسف لم يبق لنا منها إلا ما نقله المقّري في **نفحه** [٢]، بصورة رئيسيّة.

كان في استقبالهم الوزير هشام المُصْحَفي ، على رأس قوة عسكرية . وكان أول ما زار Ordono قبرَ الناصر ، مُظهراً الحزن لفقده ، حتى خلع قلنسوته وانحنى أمام قبره ، زيادة في الاحترام . وأُنزِل وأصحابه ، مكرّمين ، في مُنْية (قصر) الناعورة ، المزوّدة بكل أسباب الراحة . وبعد يومين من وصولهم استدعاهم الخليفة الحكم لمقابلته في مجلسه بالزهراء ، الذي زُين لهذا الغرض . فجلس الحكم فوق سرير المُلك

---

١ – ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٤ ، ٣٨٨ : ابن عِذاري ؛ **البيان المغرب** ، ٢ / ٢٣٥ .

٢ – المقري ، **النفح** (طبعة القاهرة) ، ١ / ٣٦٥ – ٣٧٠ .

بالمجلس الشرقي ، **المجلس المؤنس** ، يحيط بـه كبار رجال الدولة من حُجّاب ووزراء وقضاة وحكام وفقهاء . ومرّ Ordono وأصحابهُ وسط صفوف الجند المسلحين بمختلف العُدد . وكان يصحب الوفد جماعة من المُستعرَبين النصارى ليقوموا بالتّرجمة ، ويطلعوهم على آداب المقابلة ، بالإضافة إلى أن في ذلك مجاملة واستئناساً للوفد الزائر . منهم وليد بن خيزُران قاضي النصارى بقرطبة ، وعُبيد الله بن قاسم، أسْقُف طليطُلة ، وأصْبَغ بن عبد الله بن نبيل ، أسقُف قُرطبة . فأذن الخليفة بالدخول إلى مجلسه حتى وصلوا مقعده ، فحيا Ordono الخليفةوقبّل يده ثم جلس في **مجلس الديباج المذهب**، المُعدّ له ، والذي كان يبعد عن الخليفة **بحوالي** خمسة أمتار . ثم دخل أصحابه ، وبعد أن حيوا الخليفة **بنفس** الطريقة ، وقفوا حول صاحبهم واستمعوا إلى حديث الخليفة الذي رحب بهم ترحيباً أطربهم . وكان يقوم بالتّرجمة وليد بن خيزُران ، فشرح Ordono مراده متعهداً محالفة المسلمين وتقوية علاقات الود والصداقة معهم ومقاطعة Fernan Gonzalez ، كما تبرع أن يدع ولده Garcia رهينة لدى المسلمين دليلاعلى صدق نيته. فوعده الخليفة النظر في الأمر، وانصرفوا مبهورين لما رأوا من العظمة والفخامة ، مزودين بالهدايا التي أمر بها الخليفة .

ويبدو أن السبب الكبير – إن لم يكن الوحيد – الذي حمل الخليفة على النظر في الأمر أن Sancho ،الذي كان الناصر قد ساعده ضد Ordono ، أخلف وعده هذه المرة ونقض

لمعاهدة التي عقدها مع الناصر ، وأنكر تلك المساعدات الطبية والعسكرية ، ولعله تخطيط سياسي لتخويف Sancho .
ولذلك لم يباشر الخليفة الحكم بأي عمل تنفيذي لـ Ordono بالمساعدة العسكرية . وان مجريات الأمو التالية تلقي ضوءاً على ترجيح هذا التعليل ، ولعل الخليفة كان سينظر في الأمر في حالة استمرار Sancho في نقضه ، ولذلك لم يبدأ تنفيذ أي أمر مباشرةً .

وما أن سمع Sancho أخبار سفارة Ordono واستقبال الخليفة له حتى داخله الخوف على عرشه فسارع (أي Sancho) بإرسال سفارة إلى الحكم في جمادى الآخرة – رجب ٣٥١ / مايس (مايو) ٩٦٢ ، كان من أعضائها حاكما غاليسية Galicia وسمورة Zamora ، معترفاً بخلافة الحكم ومستعداً لتنفيذ بنود المعاهدة التي أبرمها مع الناصر ، وبعدم مساندة Fernan Gonzalez في عدواناته[١]. ولكن حدث مالم يكن بالحسبان ، فغَيَّر مجرى الأحداث التالية . ففي نهاية ٣٥١ / ٩٦٢ توفي Ordono IV وعاد Sancho I إلى نقضه .
وتطور الأمر أكثر من ذلك ، إذ عقد جميع الحكام المسيحيين حلفاً دفاعياً : Fernan Gonzalez حاكم Castilla و Sancho I ملك Leon و Garcia Sanchez I ملك نَبارّة و Borrell حاكم برشلونة ومعاونه Miron . وأمام ذلك وجد

١ – ابن عذاري ، **البيان**، ٢ / ٢٣٥ ؛ ابن خلدون ، **العبر**، ٤ / ٢ / ٣١٥ .

الحكم نفسه مضطراً لإعلان الحرب ، وكان الجيش الأندلسي معبئاً كما مرّ بنا . وفي صيف ٣٥٢ / ٩٦٣ زحف الجيش بقيادة الحكم نفسه إلى الشمال نحو قشتالة ،حيث بدأ حاكمها هجومه مباشرة بعد أن أُطلق سراحه ، فالتقى به عند قلعة شَنْتْ اشتبين San Esteban عند نهر دويره . فلم يستطع Ferana الوقوف أمام هذه القوة ، فاضطر إلى الإذعان وعقد صلحاً مع المسلمين ، ولكنه عاد فنكث ، فعاد المسلمون الى مهاجمته . وكان الحكم قد وجه حملات أخرى نحو الجهات المختلفة ، فبقيادة يحيى بن محمد التُجيبي حاكم سَرَقُسطة ، إلى نافار ، وكُتّلاً من غالب وسعيد إلى جهات أخرى .
واستغرقت هذه العمليات صائفتي ٣٥٢ – ٣ / ٩٦٣ – ٤.
وحدثت معركة أخرى عند غُرْمَاج Gormaz القلعة الحصينة فوق نهر دويره إلى أعلى حصن San Esteban [١] .

***

ثم تلت ذلك أحداث عدة في كل من اسبانيا المسيحية والإسلامية ، تتفاوت في الأهمية . ففي ٣٥٣ / ٩٦٤ كانت بقرطبة مجاعة عظيمة [٢]، كما كانت حكومة قرطبة تصرف جزءاً من جهدها في الاستعداد والتحصين أمام الخطر الفاطمي، الذي امتد حكمه إلى مناطق كثيرة في شمال افريقية . حتى أن الحكم ذهب بنفسه، في رجب ٣٥٣ / أيلول (سبتمبر) ٩٦٤ ،

١ – ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٤ . ويجعل هذه المعركة في ٣٥٤ / ٩٦٥ .
٢ – ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ٢ / ٢٣٦ .

مع مجموعة من كبار القادة ، إلى المريّة Almeria ، القاعدة الكبرى للأسطول الأندلسي ، ليشرف على عمليات الإعداد والتعبئة [١] .

أما بالنسبة لاسبانيا المسيحية ، فقد قامت ثورات ضد Sancho I ملك Leon حتى توفي مسموماً في ٣٥٥ / ٩٦٦ . فخلفه ابنه الطفل Ramiro III تحت وصاية عمته إلبيره Elvira وهي أخت Sancho I أبو الملك الطفل . ولكن حُكم ليون من قبل امرأة وطفل دعا كثيراً من الزعماء الليونيين الى الاستقلال في مناطقهم . وفي ٣٦٠ / ٩٧٠ توفي Fernan Gonzalez ، فخلفه ابنه Garcia Fernandez . كما توفي في نفس السنة Garcia Sanchez I ملك نبَارّة وخلفه ابنه Sancho Garces II .وفي أول رجب ٣٥٥ / ٩٦٦ هاجم المجوس الأرْدُمانيون The Vikings (Norsemen) سواحل الأندلس الغربية عند لشبونة ، وحدثت معارك عدة . ثم في ٣٦٠ / ٩٧٠ هاجموا سواحل غاليسية Galicia وأشرفوا على شنت ياقب Santiago de Compostela [٢].

وكانت أحداث الصدام بين الطرفين خلال ذلك بسيطة وان هذه الأحداث لم تؤثر كثيراً على الأندلس . إذ تم التغلب عليها بسرعة . أما بالنسبة لاسبانيا الشمالية فكانت ذات أثر كبير فكان قيام إمارات مستقلة متعددة مما أدى إلى ضعفها . وكانت

١ ـ ابن عذاري، ٢ / ٢٣٦ ؛ ابن الخطيب ، **الإحاطة**، ١/ ٤٨٦-٧ .

٢ ـ ابن عذاري ، **البيان المغرب** ٢ / ٢٣٩ ، ٢٤١ .

قرطبة خلال ذلك يطّرد نموها وتقدمها حتى غدت مركز التوجيه ومقصداً للبعثات العلمية والسياسية من كل مكان [١].

لا يُقصد أن حدثاً معينا من هذه الأحداث حمل ـ وحده ـ حكام الشمال على طلب صداقة قرطبة وخطب ودها ، وهذه الأحداث زادته . فإن قوة الحكم وانتصاراته الساحقة التي حازها ضد ملوك الشمال ، رغم اتحادهم ، جعلهم يفضلون العلاقات الودية مع قرطبة ، وحتى Sancho I ملك ليون نفسه ، فضل عقد الصلح مع الحكم . ففي ٣٥٥ / ٩٦٦ أرسل Sancho I سفارة إلى قرطبة لطلب السلم وتأمين جانبه تجاه المسلمين ، لينصرف إلى إخماد الثورات الداخلية . وأراد استغلال هذه السفارة إلى أبعد حد ممكن بتحقيق رغبة زوجته Teresa وأخته Elvira فكلف السفراء رجاءَ الخليفة بالسماح بنقل رفات القديس San Pelayo الى ليون [٢].ولعله ظن أن ذلك يجلب له عطف شعبه ويخفف من حدة المعارضة . وفعلا استجاب الخليفة لذلك وتم نقله في حفل ضخم ، لم يستطع Sancho I حضوره لانشغاله ببعض الثورات .

* * *

لاحظنا كيف نقضَ ملوك الشمال عهودهم ، خاصة Sancho I ملك ليون ، وكيف أن الفترة السابقة تراوحت العلاقة فيها بين الطرفين من الحرب الضروس إلى الصداقة

١ ـ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام** ، ص٤٢؛ عنان، **دولة الإسلام**، ٢ / ٤٤٧ .

٢ ـ عنان، **دولة الإسلام** ، ٢ / ٥٤٣ .

وتبادل السفارات .

ولقد توقفت الإعتداءات على الأراضي الإسلامية بوفاة Sancho I ومجيء ابنه Ramiro III . الذي كان عمره حوالي ثلاث سنوات ، تحت وصاية عمته الراهبة Elvira بمعاونة والدته Teresa Ansurez . وكذلك ظهور الزعماء المحليين – الذي أفقد ليون وحدتها – مع العوامل الأخرى التي سبق ذكرها ، كل ذلك أوجد جواً من الهدوء بين الطرفين ، خاصة بعد أن برهن الحكم على أن قدرته العسكرية ليست أقل من العلمية . حتى لقد أصبحت قرطبة مركز القيادة في شبه الجزيرة الأندلسية ، كل يطلب ودها ، يسعى إلى كسب صداقتها وعقد معاهدة سلم معها تُلتزَم بنودها ، ويطلب مساعدتها .

فما أن تنتهي سنة ٣٥٥ / ٣٦٦ حتى نرى الوفود السفارية تترى متتابعة في طريقها إلى قرطبة [١] من كافة أنحاء اسبانيا المسيحية – ومن بلدان أخرى – ساعية لكسب صداقتها وعقد صلات المودة . ولقد كانت السنوات الأخيرة من أيام الحكم غنية بهذه الوفادات .

---

١ – يُلاحظ من المعلومات الواردة عن هذه السفارات – وهي عديدة – بعض الارتباك أو التعقيد أو الإيجاز الغامض ، وسيُعمل على ترتيبها وتنسيقها ، بالاستعانة بمخطوط ابن حيّان ، **المُقْتَبَس** ، مخطوط الاكاديمية التاريخية بمدريد ، مجموعة كوديرا (قديره) Francisco Codera رقم ٢ . ولقد قام المؤلف بتحقيقه (بيروت ١٩٦٥) .

ففي نهاية شعبان ٣٦٠ / ٩٧١ يصل بون فليو بن سندريط Enneco Bonfill Sinderedo إلى بَلاط الحكم سفيراً لحاكم برشلونة ، بريل Borerell ابن سنير Suner (٣٤٣ – ٣٨٢ / ٩٥٤ – ٩٩٢) . وكان يصحب هذا السفير عشرون من النبلاء ، بعضهم ممثلون شخصيون لغيتار Guitardo نائب حاكم برشلونة (ولعله حاكم مدينة برشلونة وبريل Borrell حاكم إمارة برشلونة كلها) . وكانوا يحملون الهدايا للخليفة : عشرون صبياً من الصقالبة وعشرون قنطاراً من الصوف وعشرون درعاً ومئتا سيف فرنجية وخمسة قناطير من القصدير مع ثلاثين أسيراً مسلماً بين رجال ونساء وأطفال . وكان السفراء يحملون رسائلا من حاكم إمارة برشلونة ونائبه ، يرافقهم ثلاثة من الفرسان . وكان في استقبال هؤلاء السفراء هشام بن محمد بن عثمان ، صاحب الشرطة وحاكم طرطوشة Tortosa وكوره بلنسيه Valencia [١] ، وكان مرافقهم والمسؤول عن راحتهم . فقادهم إلى مكان ضيافتهم في قصر نَصْر ، الذي يقع على ساحل الوادي الكبير [٢] عند قرطبة ، ثم ذهب هشام لإكمال ترتيبات المقابلة مع الخليفة ، الذي أوصى بالعناية بهم وتزيين منزلهم .

---

١ – ابن حيان ، **المُقْتَبَس** (طبعة بيروت) ، ص ٢٠ – ٢١ ، ٣٢ .

٢ – يقع قصر نصر (أو : مُنية نصر) في ظاهر قرطبة على النهر ، بناها الأمير عبد الله بن محمد . انظر : الحِمْيَري ، **الروض المعطار** ، ص ١٨٧ .

وفي ٤ رمضان / أول تموز (يوليو) من نفس السنة ، استقبل الخليفة هؤلاء السفراء استقبالا حافلا في بهو السفراء في قاعة الاستقبال الشرقية ، المطلة على الحدائق الغنّاء بالقصر الخليفي بمدينة الزهراء . كان الحكم يجلس على الكرسي الخليفي يحف به وزراؤه وحجابه وكبار رجال دولته ، ومن الوزراء الذين كانوا على يمينه ، القائد غالب الناصري يليه قاسم بن محمد بن طُمْلُس ، وزير القصر . ومن الوزراء على يساره جعفر بن عثمان المُصْحَفي ، حاكم قرطبة ، يليه محمد بن أفلح ، حاكم مدينة الزهراء . وتقدم السفراء لمقابلة الخليفة ، تتبعهم فرقة من الجند برئاسة شَهوار بن عبد الرحمن بن الشيخ ، معهم من المُستعرَبين المسيحيين القرطبيين ، الذين كانوا يقومون بالترجمة . وقَبّل السفراء يد الخليفة وقدموا اليه رسالة Borrell والرسائل الأخرى . وأبلغوه رغبتهم في تجديد الصلح واستمرار السلام ، وتبودل الحديث ، وأبدى الخليفة الرغبة التامة في معاهدة السلم بين إمارة برشلونة وقرطبة . وأبرم معهم معاهدة استجاب فيها لمطالبهم ، التي يظهر أنها تتعلق بتأييد أو اعتراف الخليفة بهم وطلب مساعدته وقت الحاجة ، ويتعهدون بهدم الحصون التي تُشَكّل خطراً على الحدود الإسلامية وألاّ يعاونوا أهل ملتهم إذا اعتدوا على المسلمين وينبئوا السلطات الإسلامية بأى تدبير عدواني قبل وقوعه ، إذا

علموه [1]. وفي منتصف شَوّال / آب (أغسطس) من نفس السنة ، عاد الوفد إلى بلدهم بعد أن حملوا جواب الخليفة ورغبته في عقد سلام بين قرطبة وبرشلونة ؛ مزودين بالهدايا التي تَرْبُوا على ما قدّموا من العبيد – الذين حررهم الخليفة – وغيرها . ويذكر ابن خلدون [2] ، أن سفراء برشلونة لم يكونوا وحدهم ، بل كان معهم سفراء من طركونة Tarragona ومن قُومس الفِرَنْجة . ويظهر من كلامه أن المعاهدة عُقدت مع الجميع . ولعله يعني بـ « قُومس الفِرَنْجة » بني قُومِس Bini Gomez ، حكام كاريون Carrion. وليس من الضروري أن تكون كل هذه السفارات قد جاءت سوية ، بل لعلها وصلت في أوقات متقاربة جداً .

وتبدو السفارة التالية ، التي يوردها ابن حيّان ، كانت معاصرة للسابقة أثناء وجودها في قرطبة ، وإن اختلف يوم استقبالهما . فيورد لنا في هذا الجزء من « المُقْتَبِس » [3] ، وصول سفارة حاكم غاليسية Galicia في رمضان ٣٦٠/ تموز (يوليو) ٩٧١ إلى قرطبة ، دون تفصيل . يقول : « وفي يوم السبت لخمسٍ بَقين منه [من رمضان ٣٦٠] دخل سَلس رسول القُومس عند شلب بن مسره بكتابه من

١ – ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٥ ؛ نقله المقّري بتصرف في **النفح** ، ١ / ٣٦١ .

٢ – **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٥ .

٣ – طبعة بيروت ، ص ٢٧ . حين دراسة هذا الموضوع كان الكتاب لا يزال مخطوطاً .

مدينةَ لَستره من أداني جلّيقية بتاريخ يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان يذكر دخولَ المجوس – أهلكهم الله – يوم السبت قبله واديَ دُويره، وذلك شطر النهار وانهم خرجوا في الغارة إلى شَنْت بَرْيَه وبسيطها وانهم انصرفوا خائبين . »

نلاحظ أن النص غامض خاصة أسماء الأعلام ، ومما يزيده غموضاً أن الأوراق التي قبل هذه الصفحة مفقودة . فهذا الجزء من **المُقْتَبِس** ناقص الأول، كما إن الصفحات ابتداءً من السطر الأسبق للنص ، في الصفحة المذكور فيها النص الآنف ، مفقودة أنصافها السفلى .

وبالإمكان صياغة الموضوع على الشكل التالي: إن عند شلب بن مسره هو **Gonzalo Menendez** واسمه اللاتيني **Gundisalvus** وهو قريب جداً من غندشلب ، الذي ورد أحياناً عندشلب (ربما محرفاً) الذي هو أقرب إلى اللاتينية . ومَسرَه: يبدو أنها أصيبت بتصحيف خلال النسخ ، فلعلها أصلا منندو أو مننده. وإن كلمة القومس قبل الاسم طالما استعملها المؤرخون المسلمون يعنون بها كونت (الانكليزية count والاسبانية conde). والاسم المقترح هو أحد الأمراء أو الكونتات الجليقيين الذين استقلوا بحكم جليقية الغربية التي تمتد من نهر منيو **Mino** إلى جنوب نهر دويره **Duero** حيث القسم الشمالي من ولاية البرتغال . وهي المنطقة التي عَبرّ عنها ابن حيّان : « **من أداني جليقية** ».وهذا الكونت هو الذي دبّر قتل **Sancho I** ملك ليون في ٣٥٥/٩٦٦ . وإذا كان غير معروف لديّ تاريخ

وفاة هذا الكونت فإنه كان حياً طوال أيام الحكم المستنصر ، وحيث كان على صلة حسنة مع المنصور بن ابي عامر. أما لَستره فلعلها تحريف عن « لميجو » التي تكتب أحياناً لميقة [1]. وهي إحدى المدن التي كانت في منطقة هذا الكونت ، وربما كان اتخذها عاصمة له . وكان الأرْدُمانيون قد ظهروا في سواحل الأندلس الغربية أول رمضان ٣٦٠ / ٩٧١ [2] . وتطابقُ التاريخ الذي يذكره ابن حيّان لهذا الهجوم ، مع المؤرخين الآخرين ، يزيدنا ثقة بما يَروي. وابن حيّان يعطينا تفصيلاً أكثر ، فيقول : إن الأردُمانيون (النورمان) دخلوا نهر **Duero** حتى وصلوا مقاطعة شَنْت بَرْيَة **Santaver** . فالقصة : أن **Gonzalo Menendez** حاكم جليقية **Galicia** الغربية أرسل سفارة إلى الحكم المستنصر في التاريخ المذكور يخبره بغزو النورمان . ولقد كان هذا الكونت على علاقة طيبة مع المسلمين فأراد، بالإضافة إلى الإعراب عن الرغبة في استمرار الصداقة والسلم ، التقربَ إلى الخليفة بإنباءه بالغزو النورماني (بدافع الحرص على الأراضي الإسلامية). كما أنه وحده لايستطيع ردهم ، فهو في نفس الوقت يستعين بالمسلمين في درء خطر النورمان ، وانهم – وإن ردّوا خائبين ، على حد تعبير ابن حيّان – قد يعودون إلى الهجوم مرة أخرى . فكانت هذه السفارة متعددة الأغراض . وفي هذه الآونة كانت قد تغيرت

١ – عنان ، **دولة الإسلام** ، ٢ / ٥٠٨ .

٢ – ابن عذاري، **البيان**، ٢ / ٢٤١ .

الأحوال ، حيث توفي Fernan Gonzalez حاكم قشتالة في ٣٦٠ / ٩٧٠ وخلفه ابنــه Garcia Fernandez كما يخلف Sancho Garces II في نفس الوقت أباه Garcia Sanchez I على عرش نافار . لقد فضّل هؤلاء عقد الصلات الودية مع قرطبة. فيورد ابن‌حيّان في **مُقتَبِسه** عدداً من السفارات المسيحية [١] وانها كانت متعاصرة في وصولها قرطبة . فاستقبلهم الخليفة في جلسة واحدة – كل على انفراد – فيدخل الوفد التالي بعد انتهاء مقابلة الذي قبله . ولعل ذلك رغبة في المبالغة في إكرامهم واكثر مناسباً ، من أن يقابلهم سويّة .

ففي يوم السبت ١٦ شوال ٣٦٠ / ١١ آب (أغسطس) ٩٧١ جلس الخليفة على السرير في البهو الشرقي بقصر الزهراء في حفل مهيب ، يحيط به – كالعادة في مثل هذه المناسبات – الحُجّاب والوزراء وكبار رجال دولته حسب مراتبهم ، لاستقبال سفراء Sancho Garces II ملك نافار . وكان الوفد مكوناً من رسولين ، مع كل منهما اثنان من نبلائهم ، مع مجموعة من الأساقفة والقوامس [٢] . واستقبل بعدهم الليث رسولَ إلبيره Elvira الوصية على Ramiro III ملك ليون، يصحبه عبد الملك العريف ، ثم حبيب بن طويلة وسعادة رسولا Fernan Lainez حاكم سلَمَنْقَة Salamacna ثم Garcia Fernandez سفـير Garcia بـن Aton

١ – طبعة بيروت (١٩٦٥) ، ص ٢٤١ – ٢ .
٢ – ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٥ .

(وربما Anton) حاكم قَشتالة ثم Fernando و Jimeno رسولا Fernan Ansurez حاكم منتشون Monzon وأخيراً خلف بن سعد وسليمان رسولا الكونت Gonzalo .

واستجاب الحَكَمُ إلى مطاليب هؤلاء ، وعقد معهم معاهدات السلم والصداقة وعادوا إلى بلدانهم مزوّدين بالهدايا .

وفي يوم السبت٦ ذي الحجة / تشرين الأول (اكتوبر) ، من نفس السنة ، جلس الخليفة مَجلسَه لاستقبال سفير Elvira وصية عرش ليون ، ولعله نفس السفير السابق . ثم استقبل الخليفة Jimeno بن Garcia Sanchez I وهو أخو ملك نافار Sancho Garces II ورسولُه إلى قرطبة ، ثم سفيرَ قَشتالة وسفيراً آخر لم أتبينه [١] . وكان يصحب هؤلاء السفراء ، أثناء مقابلتهم للخليفة مترجمون من المُستعربين النصارى القرطبيين: القاضي أصبغ بن نبيل والأسقُف عيسى بن منصور ومعاوية بن لب وعبيد الله بن قاسم مُطران إشبيلية . فأطْلعوا الخليفة على ما يريدون – وهي لا تتعدى كسب الصداقة أو طلب المساعدة – فاستجاب لهم الخليفة وعادوا إلى أوطانهم .

إن تكرار السفارات من قِبَل نفس الحكام بهذا الشكل المتتالي يدل على مكانة قرطبة ، ورغبة هؤلاء في كسب صداقتها

١ – ابن حيّان ، **المُقتَبِس** (طبعة بيروت) ، ص ٦٣ – ٦٤ .

وتأكيد المودة معها أو يكون بياناً لرضا مَنْ يمثلون عما
أُبْرِم من المعاهدات أو لطلب استمرارها .

***

وفي ٢٢ ذي الحجة ٣٦٢ / ٢٣ أيلول (سبتمبر) ٩٧٣
جلس الخليفة كالعادة في قاعة الاستقبال مجلساً فخماً لاستقبال
سفراء من الدول المسيحية في الشمال ، بعد انتهاءه من مقابلة
رسل بعض الزعماء من الشمال الإفريقي : ويظهر أن المقابلات
تمت على حدة حسب وصولهم إلى قرطبة . فكان أول وفد
استقبله الخليفة هم سفراء Sancho Garces II ملك
نافار ثم رسل Fernando Ansurez حاكم منتشون Monzon
ثم رسل بني قومس أمراء Carrion . كما وصل سفراء من
شلطانية Saldana وسمورة Zamora وقطالونيه Cataluna[1].
ثم سفراء Elvira ، ثم سفراء Rodrigo Velazquez [2] .
ولا بد من الوقوف عند هذه السفارة الأخيرة لمناقشتها ،
فلدينا عنها بعض المعلومات المتناقضة. فابن حيان[3] : يجعل المُرْسل
هو كونت العرب ، ولا شك في أنها **الغرب** بدل العرب .
وتردد كوديرا في البت فيها، وإن كان اقترب مما سيُتَوَصَّل اليه[4].

١ – سالم ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، ص ٣١٧.
٢ – ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٣٨ .
٣ – ابن حيان ، نفس المصدر والصفحة .
٤ – Codera, "Embajada de principes Cristianos en Cordoba — en los ultimos anos de Alhakam II", *Coleccion de estudios Arabes*, IX, p. 184 .

ولعل عبارة ابن حيان « قومس العرب » أصيبت بالتحريف
وأسقطت منها كلمة « جليّقية » والتي نجدها فيما أورده ابن
خلدون حين الحديث عن هذه السفارة . ومن المعقول جداً
أن ابن خلدون اطّلع على أصل كتاب ابن حيان . فيقول ـ أي
ابن خلدون ـ عن مرسل هذه السفارة: « القُومِس بالقرب من
جليقية ». وكذلك المقّري[1]، نقلاً عن ابن خلدون .ويبدو أن
العبارة الأصلية لابن حيّان ، وربما لابن خلدون أيضاً ، هي
« القُومِس بالغرب من جليقية ».وهذا ما نجده عند المقري طبعة
دوزي[2].وعلى ذلك فيظهر أن Rodrigo Velazquez مرسلَ
السفارة هو أحد الكونتات في غرب جليقية.وهو من أكبر الكونتات
هناك وأقواهم ،وكان قد ارسل وفداً سفارياً برآسة أمّه Oneca
إلى الخليفة الحكم المستنصر ، الذي استقبلها استقبالاً جليلاً
وبالغ في إكرامها ، حيث كانت ممثلة لابنها Rodrigo Velazquez ،
ولأول مرة. ويقدم لنا ابن خلدون وصفاً لطيفاً موجزاً عن هذه
السفارة وعن اهتمام الحكم بـ Oneca أم المُرسِل[3].حيث احتفل
لقدومها في يوم مشهود وأبرم معاهدة سلم لابنها وانفذ
جميع رغباتها وأغدق عليها وعلى أعضاء وفدها الهبات وأركبها
بغلة فارهة بسرج ولجام مُثقَلَيْن بالذهب ومِلْحَفة ديباج .
وعندما انتهت مهمتها حضرت مجلس الحكم للوداع فعاودها

١ – المقري ، **النفح** (طبعة القاهرة) ، ١ / ٣٦١ .
٢ – المقري ، **النفح** (طبعة دوزي وآخرين ، ليدن) ، ١ / ١ / ٢٤٩ .
٣ – ابن خلدون ، **العبر** ، ٤ / ٢ / ٣١٦ .

بالصِلات ، وغادرت معززة إلى وطنها. فالمُستَقْبَلَة في شرح ابن خلدون هذا هي أم الكونت Rodrigo Velazquez وليست Elvira وصية عرش ليون كما فهمها الأستاذ عنان [١] ، وذلك لثلاثة أسباب :

١ ـ إنها أمّ المُمَثّل أو المُرسِل، وإلبيره Elvira ليست أمَّ مَن عليه الوصاية أو مَن تحكم باسمه ، بل عمتُه .

٢ ـ إن هذه السيدة التي حضرت الى قرطبة مَثّلت لُذْريق بِلا شك ، فهو مطابق لـ Rodrigo Velazquez ، وإلبيره تمثل Ramiro III وهي وصيته. ورامبرو بعيد من الاسم الذي ذكره ابن خلدون : « لُذْريق بِلا شك » .

٣ـ إن هذه السيدة الوافدة الى قرطبـه كانت تمثل حاكماً جلّيقيّاً ، وإلبيره تمثل ملكَ ليون .

إذن فإن هذه الوافدة الى قرطبة والتي أكرمها الحكم إكراماً بالغاً ـ حسب وصف ابن خلدون ـ هي Oneca أم لُذْريق بِلاشك أحد كونتات جلّيقية الغربية ، وليست إلبيره Elvira وصية عرش ليون .

***

وفي ١٧ صفر ٣٦٣/ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ٩٧٣ [٢] ، جلس الخليفة ، لإستقبال عدة سفارات بالأبهة المعتادة في مثل هذه المناسبات ، على سريره في قصر الزهراء. وكان يحيط به الحُجّاب

١ ـ عنان ، **دولة الإسلام** ، ٢ / ٤٤٧ ـ ٨ .

٢ ـ ابن حيان ، **المُقْتَبِس** (طبعة بيروت) ، ص ١١٦ ـ ٧ .

والوزراء وأصحاب المراتب المختلفة ، فاستقبل رُسل إلبيره Elvira ، وصية Ramiro III ملك ليون (وبعد الإنتهاء من مقابلة سفراء الزعماء الإفريقيين الذين حضروا قبلاً) . وكان يصحب هؤلاء الرسل أَصْبَغ بن عبد الله بن نبيل ، قاضي النصارى بقرطبة ، ليقوم بدور الترجمة . وبدأ الرسل حديثهم بألفاظ جافة غليظة ، مما دعا الخليفة الى إستنكار هذا التصرف الغريب ، وربما المدبّر ، الذي لا يُعرف سببه. فنهر الخليفة المترجم وطرده وأنهى المقابلة ، طالباً مـن السفراء الإنسحاب ، بعد أن وجه اليهم اللوم والتوبيخ . فأصدر أمراً بعزل القاضي أصبغ من منصبه ، لإعتباره شريكا ، وحيث لم يحاول أن يصيغ ترجمة ما قالوه بالفاظ مؤدبة أو يحاول كَفّهم عن ذلك فإن الامر لا بد أن يكون مشترَك التدبير أو على الأقل كان لأصبغ علم سابق به . واستقبل هؤلاء السفراء، فيما بعد، قائدُ الفرسان زياد بن أفلح في مقره بدار الجند ، فوجه اللوم اليهم والى المترجم وعرّفهم بأنه لو لم يَعتبروا لديهم الحصانة الدبلوماسية ـ باعتبارهم سفراء ـ لعوقبوا حالاً ، ولكن عفى عنهم ، وعرفهم سببَ ما نال أصبغ . ثم أصدر الامر الى الفقيه أحمد بن عمروس العريف [١] ، وعبيد الله بن قاسم مطران إشبيلية ، ليقوم بدور المترجم ، بالتوجه الى Elvira ، بصحبة وفدها العائد . وخرج الجميع من قرطبة في نهاية صفر

١ ـ ورد هذا الإسم عند ابن حيان (طبعة بيروت) ، ص ١٤٧ .

من السنة المذكورة. كما صدر الأمر الى محمد بن مُطَرِّف، من كورة الغرب، ولعله حاكمها أو أحد المسؤلين هناك، للإلتحاق بهم . ويظهر أن هذه السفارة توجهت الى إلبيره Elvira لبيان فعْلَةِ سفراءها بحضرة الخليفة وللإحتجاج على هذا التصرف.

وفي يوم السبت ٩ ذي العقدة ٣٦٣/٣١ تموز (يوليو) ٩٧٤ ، استعد الخليفة استعداده للإستقبالات الدبلوماسية ، بالقاعة الشرقية بقصر الزهراء . يشاركه في ذلك أهل المراتب المختلفة ، داخل القصر وخارجه ، كما هو الحال في مثل هذه المناسبات ،لاستقبال غيتار Guitardo ،حاكم مدينة برشلونة سفيراً لبريل Borrell حاكم إمارة برشلونة . فسلم رسالته الى الخليفة التي يؤكد فيها التزام الطاعة والحرص على الصداقة والوفاء بالعهود .

واستقبل الخليفة بعده رسولين لأحد حكام الشمال . واليك نص ابن حيان[1]: «ثم توصل اشتيبن بن إنيكه أسقف جرنس ونونه بن غندشلب، صاحب قشتيلة وبليبس بن شبريط ،رسول فردلند بن الشور ، فأوصلا كتابهما وقالا بما أمرا به من الاغتباط باستمرار السلم ،وقد أحس منه التنزي على مكثه ، فقرّب رسولاه في الجواب وأمضيت لهما الصلة المعتادة ،وانطلقا لسبيلهما في العشر الأواخر من ذي الحجة»، أي سنة ٣٦٣/ ٩٧٤ . وكانت الرسالة تعبر عن الرغبة في استمرار الصداقة ، وزُوّدوا بالهدايا وعادوا إلى أوطانهم .

وفي ٣٦٦ / ٩٧٦ أرسل بريل Borrell حاكم إمارة

١ – **المقتبس** (ط. بيروت ، ١٩٦٥) ، ص ١٨٢ – ٣ .

برشلونة ، سفارة أخرى ، واستقبلها الحكم ، كالعادة ، وكان الغرض منها ، كسابقتها ، لتأكيد المودة واستمرار الصداقة .

نلاحظ أن بعض السفارات السابقة – خاصة المُرسَلة من بعض الإمارات الناشئة أو المستقلة – كان غرضها كسب صداقة قرطبة وطلب مودتها لتأمين جانبها والاحتماء بها .

* * *

والآن نأتي إلى آخر سفارة يذكرها ابن حيان[1]. وهذه السفارة غريبة في بابها ، إذ أنها أشبه بطُعم أو تغطية لتنفيذ خطة اعتداء مدبرة. كانت سياسة كونت قشتالة Garcia Fernandez مع المسلمين ملتوية . فكان يتظاهر بالرغبة في السلم والصداقة ولكنه – في نفس الوقت – يبيت الخطط لغزو الأراضي الإسلامية كلما سنحت له الفرصة . وكان في انشغال الخليفة الحكم مع بعض أمراء المغرب ، حيث وجه ضدهم بعض كبار قادته ، خيرُ فرصة سانحة.

أرسل كونت قشتالة هذا ، إلى قرطبة ، سفارةً لتأكيد علاقات الصداقة والرغبة في استمرار السلم . وصل هؤلاء الرسل قرطبة ، واستقبلهم الخليفة في حفل مهيب ، كعادته في مثل هذه المناسبات، مرحباً بهم مستجيباً لرغبتهم . وانصرفوا من مجلس الخليفة بعد أن زوّدهم بالهدايا، وبردّه الإيجابي على ما طلبوا . وفي ٢٠ ذي الحجة ٣٦٣ / أوائل أيلول (سبتمبر)

١ – ابن حيان ، **المقتبس** (طبعة بيروت ، ١٩٦٥) ، ص ١٨٨ – ٩ ؛ عنان ، **دولة الإسلام**، ٢ / ٤٥٣ .

٩٧٤ ، تركوا قرطبة متوجهين الى وطنهم بعد أن استأذنو للانصراف .

وفي يوم السبت ٢١ من نفس الشهر – أي في اليوم التالي لتركهم قرطبة – وصل الخليفةَ خبرُ اعتداء كان قد ابتدأه كونت قشتالة في ١١ من الشهر نفسه – مستغلاً انشغال المسلمين بأحداث شمال افريقيا – على الأراضي الإسلامية ، وتقدم حتى وصل قريباً من مدينة سالم . وكا في اليوم المذكور – الحادي عشر – قد اقتحمَ حصن دَسَة Deza (١) ، الذي يقع ضمن أراضي بني عَمْريل بن تيملت الشَغْري، وأحرق المزارع واستاق الماشية . فخرج ، في اثر كونت قشتالة وجيشه ، واليا المنطقة زَوْرال ومَضاء ، ابنا عمريل ، في زمرة من أصحابهما. فاستنقذوا الماشيةوقتلوا عدداً من جيش غَرْسَيه Garcia ، ولكن باغتتهم خيّالتُه من مكمنٍ للخنازير ، فدارت معركة « فَحْص البِرْكة » وكانت حامية قُتل فيها زَوْرال .

لقد أدهش هذا الخبرُ السلطاتِ الإسلاميةَ ، فأرسل الخليفةُ في إثْر الرسل لإعادتهم إلى قرطبة ، فلَحِق المبعوثُ بهم ولكنهم لم يرفضوا العودة فقط ؛ بل هموا بقتله (٢) . فأرسل الخليفة

١ – يقع هذا الحصن في منطقة سُرْيه Soria من مناطق اسبانيا الحديثة وعلى بعد ٥٠ كم شمال شرق مدينة سالم Medinaceli .

٢ – رفضُهم العودة يوحي بأنهم كانو على علم بالإعتداء وتدبيره ، لذلك خافو العودة ، ولعلهم أدركوا سبب طلبهم .

أفلح ، رئيسَ الفرسان ، في مجموعة من وجوه الجند يزيدون على ثلاثين . وكان منهم شعبان بن أحمد وحسين بن ابراهيم الخليع ، فلحقوا بهم ، وكانوا لا يزالون في الأراضي الإسلامية ، رغم تنكبهم الطريق واختفائهم في أحد الوديان . فأعادوهم إلى قرطبة حيث سُجِنوا (١).

إن مثل هذه التصرفات لا تعكر أجواء السلم وتجعله في مهب الريح فقط ، بل وتشكك في النوايا المُسالمة وعروض الصداقة المخلصة . ولذلك لم تتحسن العلاقات بين السلطات الأندلسية وقَشتالة بعد ذلك في أيام الحكم الثاني ، إن لم تكن قد زادت سوءاً .

ولقد أحس بشناعة هذا الاعتداء بعض حكام الشمال الذين خافوا حدوث مضاعفات ، قد يصلهم شرّها ، فأرسل حكام ليون سفارة – وتلك بادرة توسط لطيفة – الى قرطبة ، لتقديم الاعتذار عن الخطأ الذي ارتكبه الكونت غَرْسيَه . فاستقبلهم الحكم في القصر الخليفي بمدينة الزهراء ، ولعلها خففت وقع الاعتداء . ولكن الأيام تمخضت فولدت أمراً أعظم خطراً . ذلك أن غَرْسيَه هذا نظم اتحاداً (٢): منه ومن حكام ليون ونافار

١ – عن هذه السفارة راجع :

Codera, "Embajadores de Castilla encarcelados en Cordoba en los ultimos anos de Alhakam II", *Coleccion de estudios Arabes*, IX, pp. 207 — 222 .

٢ – ابن حيّان ، **المُقْتَبِس** (ط . بيروت ، ١٩٦٥) ، ص ٢١٨ – ٢٢١ .

وكونتات شَلْطَـانيه Saldana ومنتشـون Monzon .
ففي يوم السبت ٢ شعبان ٣٦٤ / نيسان (ابريل) ٩٧٥،
قاموا بهجوم عـلى الأراضي الإسـلامية ناكثين عهودهـم
وتقدموا حتى حصن غُرمَاج Gormaz على نهر دويره Duero
في الثغر الأعلى ، فيحدث قتال عنيف ينتصر فيه المسلمون .

***

وفي مثل هذا الجو من العلاقات المتوترة لا نجد سفارات
وردت من هؤلاء إلى قرطبة للفترة التي ندرسها . ثم ان
الحكم المستنصر توفي في اليوم الثاني من صفر ٣٦٦ / ٣٠
سبتمبر أيلول ٩٧٦ ، فأخذت الأحداثُ مُجْرَيَاتٍ أخرى.



العلاقات السياسية بين ثوار الأندلس واسبانيا الشمالية *
في الفترة الأموية

لا بد من ملاحظات عامة أسوقها في مستهله ، قبل أن آخذ
في درس العلاقات السياسية بين ثوار الأندلس وإسبانيا الشمالية
(المسيحية) وعرضٍ نماذج منها :

١) كان هذا النوع من العلاقات السياسية بين ثوار الأندلس
واسبانيا الشمالية يعتمد كثيراً على حال السلطة المركزية في
قرطبة ، فإن كانت تلك السلطة قوية كانت العلاقات بين الثوار
ودول الشمال الاسباني (مملكة ليون ونافار وإمـارة
قَشْتالة) ضعيفة أو غير قائمة . ولذا كثرت هذه العلاقات

* نُشر بالعربية في مجلة « **الأبحاث** » التي تُصدرها الجامعة الأميركية في
بيروت ، السنة ١٨ ، الجزء ١ ، آذار (مارس) ١٩٦٥ . ثم نُشر (مع تغيير)
بالإنجليزية :

"Political relations between the Andalusian rebels and Christian Spain during the Umayyad period (A. H. 138—366/A.D. 755—976)", *The Islamic Quarterly*, London, vol.X, nos .3 and 4, 1386/1966.

وتعددت في فترة من أيام عبد الرحمن الداخل، لاضطراب الأحوال الداخلية في الأندلس قبيل مجيئه واستمرارها على هذه الحال مدة غير قصيرة بعده . إذ أن عبد الرحمن استغرق وقتاً طويلا وبذل جهداً كبيراً حتى استطاع ضبط الأمور والتوجه بالبلاد نحو الاستقرار. وقوةُ السلطة المركزية في قُرطبة عامل يحدو دول الشمال الاسباني إلى إنشاء العلاقات الودية معها.

٢) كان الثائرون الأندلسيون لا يقتصرون في طلب المساعدات العسكرية على دول الشمال الاسباني ، بل يتوجهون أحياناً الى الفرَنْجة أو الى الشمال الإفريقي . وفي بداية العهد الأموي كان الثوار يستعينون ـ أكثر ما يستعينون ـ بالفرَنْجة، لأن دول الشمال الاسباني لم تكن على مستوى من القوة يُغري الثوار بالتوجه إليها .

٣) كانت المعونة التي تقدمها دول الشمال لهذا الثائر أو ذاك من الإيواء، في البداية، كي تستفيد منه عند الحاجة وبخاصة خلال المعارك حيث يحصلون منه على معلومات مفيدة أو يشاركهم في الحرب ضد المسلمين .

٤) لم يكن من الضروري أحياناً أن يطلب الثوار المعونة بل كان الاسبان (والفرَنْجة) يخفّون لمساعدتهم ابتداءً. فإذا سمعوا بثورة سارعوا لتأييدها ، بل وقد يكونون المحرضين عليها في الخفاء .

٥) كانت بعض هذه العلاقات آنيّة الدوافع ، خاصة من

الجانب المسيحي في الشمال الذي نادراً ما كان يلتزم بالعهود بصورة اعتيادية . ولذلك كانت العلاقات الناشئة تقوم وتنتهي ، وأحياناً بسرعة .

٦) من الأسهل أن تقوم الثورات في شمال الأندلس، لأن طلب العون هنالك أيسر على الثائرين . وربما كان بعض الثوار يحاول أن يجعل مركزه في الشمال لهذا الغرض . أما الثورات التي قامت في جنوب الأندلس فلا نجد بينها وبين دول الشمال تعاوناً إلا في النادر .

٧) ومن اليسير أن نُدرك سوءَ ما كانت تجرّه من نتائج ، إذ هي تفتح الباب للانتقام وتُعرّض الجيشَ المهاجمَ للأخطار. وأبرزُ مثالٍ على ذلك ما حدث لشارلمان حين غزا الأندلس سنة ١٦١ / ٧٧٨ بدعوة بعضِ الثوار له .

٨) تختلف طبيعة الثورات فتأخذ لذلك أشكالا متعددة . فهي إما ثورة يقوم بها فرد ، فإذا هلك خمدت الثورة بهلاكه . وهي إما ثورة يتوارثها أفراد عائلة معينة . أو هي ثورة مدينةٍ تَسعى إلى استمداد المساعدة من وراء الحدود .

***

وسأفصّل القول في النوعين الأولين من هذه الثورات . أما النوع الثالث فمثاله مدينة طُلَيْطُلَة، تلك المدينة التي قامت فيها عدة ثورات وانها كانت تطلب المساعدة من دول الشمال أو تنقاد لتحريض تلك الدول لها على الثورة والعصيان .

ففي سنة ٢٤٠ / ٨٥٤ قامت فيها ثورة، وسار الأمير محمد للقضاء

عليها، فاستعان الثوار بأردونيو الأول ابن رامبرو ملك ليون وبغرسيه انيجس ملك نافار . فأرسل ملك ليون جيشاً لنجدتهم بقيادة غاتون ، ورغم ذلك فقد انتصر الأمير وأخضع المدينة الثائرة [١] في معركة وادي سليط Guazalete .

وعادت المدينة إلى الثورة في سنة ٣٠٠ / ٩١٢ ، أواخر حكم الأمير عبد الله ، فاستدعى الثوارُ الفونسو الثالث ملكَ ليون ضد قرطبة وارتضوا دفع الجزية له [٢] ،مقابل وقوفه معهم ضد السلطة الإسلامية .

وعصت طليطلة على الناصر في ٣١٨/٩٣٠ ، معتمدة على مساعدة رامبرو الثاني ملك ليون. فسار اليها الناصر وضرب حولها حصاراً فكّه بعد أسابيع ، ولعل ذلك بعد هدوئها نوعاً . وبعد سنتين ،أي في ٣٢٠ / ٩٣٢ ، سار اليها ثانية – بعد فشل المفاوضات السلمية – فاستنجد أهلها برامبرو [٣]. فاستجاب

١–ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ**، ٤٨/٧ ؛ عيسى بن أحمد الرازي، نقله ابن حيّان في مخطوط القرويين (فاس) **المُقْتَبِس** ، الجزء الثاني ، ورقة :١٢٦ (ترقيم جديد ورقة ١٧٣) ؛ المقّري **نفح الطيب**(طبعة القاهرة) ، ٣٢٨/١ ؛ عنــان ، **دولة الإسلام** ، ٢٨٨/١ ؛ **مورفي** (Murphy) ، **تاريخ الأمبراطورية الإسلامية في إسبانيا**(بالإنجليزية) ،ص ٩٤ ؛ ليفي بروفنسال، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** (بالاسبانية) ،٤ /١٩١ . وهو يسمي القائد غاستون

٢–عنان ، **دولة الإسلام** ، ٣٤١/١ .

٣– عنان ، ٣٨٤/٢ ؛ ابن خلدون ، **العبر** ،٤ /٢/ ٣٠٥ – ٦ .

لندائهم ، ولكنه أخفق ، إذ استطاع الناصر إخضاع المدينة الثائرة فلزمت الطاعة فيما بعد .

صور من الثورات بالأندلس في العهد الأموي

١) بنو قَسِي المُوَلَّدون المَسالمةُ الأصل [١] **:** كان جدهم الأعلى قَسِي أميراً أيام القوط . ولما فتح المسلمون شبه الجزيرة الإيبيرية ، ذهب إلى الشام وأسلم على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فأقره في مركزه الذي توارثه أبناؤه وكان مركزهم مدينة تُطيلَة . وكانت لهم علاقات مصاهرة مع نصارى الشمال خاصة مع البَشْكُنْس [٢] ،وأحياناً كانوا يشقّون عصا الطاعة على سلطة قرطبة أو يحاربونها إلى جانب الحكام المسيحيين .ومن أبرز أفراد هذه الأسرة موسى بن موسى بن فُرتون بن قَسِي (موسى القَسَوي) [٣] . ويظهر من كلام العُذري [٤] أنه

١–المَسالمة أو الأسالمة هم الإسبان الذين دخلو الإسلام ، وأطلق على أولادهم – الذين وُلدوا مسلمين – « المُولّدون».انظر : مؤنس ، **فجر الأندلس** ، ص ٤٢٥ .

٢–ابن حزم ، **جمهرة أنساب العرب** ، ص ٤٦٧–٨ ؛ عنان ، نفس المصدر ، ٢٥٧/١ .

٣–ابن حيان، مجلة **الأندلس** ، المجلد ١٩ (١٩٥٤) ، ص ٣٠٤ .

١–العُذري ، **نُصوص عن الأندلس** ،ص ٢٩–٣٠ ؛ ابن سعيد، **المُغْرب في حُلى المَغرب** ، ٤٦/١، ٤٩ ؛ ابن حيان ،مجلة **الأندلس**، العدد السابق ، ص ٢٩٨ .

أولُ عاصٍ ضد الأمير عبد الرحمن الثاني ،ولعله أول من فعل ذلك من الأسرة [1] . وكان أول عصيانه في٢٢٧ / ٨٤٢، وتحالف مع صهره ،غرسيه انيجس [2] ملك نافار ،ضد قرطبة . ويظهر أن التحالف استمر حتى ٢٢٨ / ٨٤٣ [3] وعاونتهما في ذلك قوات من قَشتالة وليون .ولكن عبد الرحمن انتصر على القوة المتحدة ، ثم عاد موسى إلى الطاعة ، كما طلبت نافار الأمان والصلح [4] . وفي ٢٣٥ / ٨٥٠ عاد موسى مرة أخرى إلى الخلاف فعاونه وأيده غرسيه انيجس أخوموسى لأمه [5].

١–ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ٤٦٧ .

٢–عنان ، **دولة الإسلام** ، ٢٥٦/١ . كان غرسيه قد تزوج من أوريَه بنت موسى بن موسى المذكور الذي تزوج هو نفسه من ابنة غرسيه . انظر العُذري، نفس المصدر ، ص٦٢ ؛ ابن حزم، **الجمهرة** ، ص٤٦٧–٨ ؛ ابن حَيّان، **مجلة الأندلس**، العدد السابق ، ص٢٩٨ . كما تزوجت بنات لب، اخي موسى ،من أولاد وَذَمّه بن شَانْجُه .انظر ابن حزم، **الجمهرة** ، ص ٤٦٨ .

٣–ابن حَيّان ، **مجلة الأندلس** ، العدد السابق ، ص ٣٠٠ .

٤–ابن حَيّان ، **مجلة الأندلس**، نفس العدد ، ص٣٠٠ . لا يذكر ابن حيان عودة موسى الى الطاعة ، ويمكن استنتاجه من طلب حليفه .

٥– كانت أرملة موسى بن فُرتون بن قَسِي، وهي أم موسى بن فرتون بن قَسِي، قد تزوجت من وَنَقُهْ أريستا، فولدت له فرتون إنيجس (ليفي بروفنسال ، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** « بالإسبانية » ١٤/٣ .) وفرتون هو أخو غرسيه إنيجس. وغير واضح ما إذا كان الأخير هو ابن أرملة موسى أم هو من زوجة أخرى وَنَقُهْ أريستا .وقد جعل ابن حَيّان غرسيه إنيجس

كما كانت لموسى أحياناً علاقات ودية متقطعة مع أردونيو الأول ملك ليون تؤثر فيها علاقات الأخير مع سلطة نافار ، أصهار موسى ، وكذلك أولاده مع معاصريهم من حكام ليون . فإذا قام نزاع بين أردونيو وغَرْسِيَه وقف موسى إلى جانب صهره .

– كما جاء أعلاه – أخا موسى لإمه. ولعل ابن حَيّان جعل غرسيه أخا موسى لامه على إعتبار أن غرسيه أخو فرتون (أخو موسى لامه) ، فيكون غرسيه أخا موسى لامه كذلك، ولم أجد مصدراً ذكر ذلك. علماً بأن ابن حيان لم يقل بأنه غرسيه بل قال ابن وَنَقُهْ صاحب بنبلونة ، وكان صاحب بنبلونة يومها هو غرسيه. ولايبدو أن ابن وَنَقُهْ الذي ظاهر موسى والذي ذكره ابن حَيّان هو فرتون كما قال عنان (**دولة الإسلام في الأندلس** ، ٢٦٢/٢ .) لاسباب :

أ – لأن فرتون ليس صاحب بنبلونة ، وإن ابن حيان حينما ذكر فرتون لم يقل ذلك، بل قال عنه بأنه : فارس بنبلونة .

ب – ولا يمكن أن تكون كلمة « صاحب بنبلونة » هنا تعني حاكم المدينة فقط – فيحتمل فرتون كان حاكمها – بل حاكم نافار . لأن ابن حَيّان حينما ذكر غرسيه، وهو ملك نافار، وصفه بأنه: صاحب بنبلونة: (مجلة **الأندلس** ، نفس العدد ، ص ٣٠٨ .) . كما وصفه في موضع آخر « أمير البَشْكُنْش » (مجلة **الأندلس** ، نفس العدد، ص ٣٠٠ .) .

جـ – إن فرتون بن وَنَقُهْ كان قد قُتل في ٨٤٣/٢٢٨ (مجلة **الأندلس** ، نفس العدد ، ص ٣٠٠ ؛ ليفي بروفنسال ، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** «بالإسبانية» ، ١٤٤/٤ .) والحادثة التي نتحدث عنها كانت في ٢٣٥ / ٨٥٠ .

وآخر ما كان من ذلك أن حارب موسى وغرسيه جنباً لى جنب ضد أردونيو في ٢٤٨ / ٨٦٢ في موقعة البلدة التي أسفرت عن قتل الحليفين .

وخلّف موسى ابنهُ الذي تحالف مع أردونيو الأول ضد المسلمين [١] . وفي ٢٥٧ / ٨٧١ ثار لُبّ ضد سلطة قرطبة ، ولا يستبعد معاونة سلطات نافار له [٢] . وبعد وفاة لب أو مقتله في ٢٦١ / ٨٧٥ تَقَاسَم أخوُته حكمَ المنطقة . ويظهر في هذا الأمر (بعد هذا) بعضُ الغُموض، ويمكن وضعه على الصورة التالية : فحينما خلف لب أباه كان على علاقات طيبة مع نافار وحين شعر بقوة مملكة ليون خشي خطرها عليه ، فتحالف مع ملكها أردونيو الأول ليشنا الحرب على الأراضي الإسلامية . وحين توفي لب حل اخوُته الثلاثة مكانه. فتولى فُرتون تُطَيلة ، واسماعيل سَرَقُسطة ، ومُطَرّف وَشْقَه [٣]. وكان هؤلاء قد سلكوا سلوكاً مماثلا لسلوك أخيهم في علاقاته ، فكانوا على علاقة طيبة مع سلطات نافار وأحياناً

١ــعنان ، **دولة الإسلام في الأندلس** ، ٢٩٥/١ .

٢ــابن حيان ، **مجلة الأندلس**، العدد السابق ، ص ٣١٢؛ العذري ، نفس المصدر ، ص ٣١ . ويقول إن لب تظافر مع غَرسيه ملك نافار ، ولا يمكن ذلك لأن غَرسيه توفي في ٨٦٢/٢٤٨ .ولم أستطع معرفة اسم حاكم نافار في هذه الفترة .

٣ــالعذري ،نفس المصدر ، ص ٣١ .

نَسَب بني قَسِي

قَسِي

يحيى — يونس — فُرتون — أبو ثور — أبوسَلامة

(أبناء فُرتون:)

موسى
(تزوجت أرملته من إنجو أريستا)

زاهر

(أبناء موسى:)

إنجو (وَنَقُهْ) — يونس — مُطَرّف — موسى — يُوَارْتَش — لُبّ — غَرْسِيَه

(توفي موسى في ٨٦٢/٢٤٨، وهو أخو فرتون انيجس لأمه المُتوفى ٢٢٨ / ٨٤٣)

(تزوجت بنا ُته من أولاد وَنَقُهْ بن شانْجُهْ)

(أبناء موسى:)

مطرّف — لُبّ — فُرتون — أورْيه — إسماعيل

(تزوجت غرسيه انيجس ملك البَشكُنْش)

موسى

(أبناء فُرتون:)

إسماعيل — موسى — لُبّ — محمد

مع ملك ليون الفونسو الثالث . وكانوا قد أعلنوا العصيان على الأمير محمد الذي شن عليهم حرباً قُتل فيها المُطرّف . فتحالف الأخَوان مع الفونسو . وكان اسماعيل يبغض ابن أخيه محمد بن لب لولائه لسلطة قرطبة. فقامت بينهما حرب انتهت بانتصار محمد على عمه وأسره واستيلاء محمد على سَرَقُسطة. وحينما أراد الأمير انتزاعها منه ، أعلن عصيانه وتحالف مع الفونسو للتعاون على رد القوات الإسلامية وقتالها . فقامت قوات قرطبة بحصار سرقسطة وانتهت هذه العمليات بالمصالحة وإخضاع سرقسطةالإسلامية[1].وانتهى أمر بني قَسِي نهائياً في٣١٢/٩٢٤، (انظر قائمة نسب بني قسي)[2] .

٢) بنو مَروان الجِلّيقي : طالما ثاروا على سلطة قرطبة . وأول وأخطر ثائر من هذه الأسرة عبدُ الرحمن بن مروان الجِلّيقي ، كان يثور ضد قرطبةويعود إلىطلب الأمانثم يَحْنَث. وَثار لأول مرة في ٢٥٤/ ٨٦٨،ولم تكن ثورته هذه عنيفة كالثانية في ٢٦١/ ٨٧٥[3] . حيث اتخذ قلعة الحَنَش جنوب

---

١ ــ عنان ، نفس المصدر ، ٢٩٩/١ .

٢ ــ مُعْتَمِداً على العذري ، **نصوص عن الأندلس** ، ص٢٩ــ٤٠ ؛ ابن حزم ، **الجمهرة** ، ص ٦٧ ــ ٨٤ ؛ ليفي بروفنسال ، **تاريخ اسبانيا الإسلامية** (بالإسبانية) ، ٤/ ٢٤٦ (قائمة النسب) .

٣ــ ابن سعيد ، **المُغرب** ، ٣٦٤/١ ؛ ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام**، ص ١٠ ؛ ابن القوطية ، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، ص ١٠٧.

مَاردة مركزاً له . وكان يُعَضّده خارجٌ آخر هو مَكحول بن عمر في قلعة جُلّمانية القريبة من الأولى . فقوي أمرهما وكثر أنصارهما . وعندما علِما بمقْدَم الأمير محمد في جيش كثيف لحربهما ، استعانا بثائر من المولّدين هو سعدون بن فتح السّرُنْباقي الذي كان وقتها يعيش جنوب جليقية في كُورة الغرب في كنف الفونسو الثالث ملك ليون[1]. فسار السرنباقي لنجدتهما ، ورغم ذلك لم يستطع الجميع مقاومة الحصار الذي ضربه الأمير حول قلاعهم . فطلب الجليقي الأمان فأجيب اليه ، ولكنه عاد إلى النكث . وفي هذه المرة عقد هو والسرنباقي حلفاً مع الفونسو[2] وتحصن الجليقي في بَطَلْيَوْس . فأرسل الأمير جيشاً برياسة ابنه المنذر وقيادة هاشم بن عبد العزيز في ٢٦٢ / ٨٧٦ فاستعان الجليقي بالسرنْباقي الذي قدم مع أتباعه ومعهم قوة كبيرة من المحاربين أمدّهم بها الفونسو . فسار هاشم في مجموعة من الجيش للقاء السرنْباقي الذي نصب كميناً ، وانتهت المعركة بأسر هاشم حيثَ سلّمه السرنباقي إلى الفونسو . وبقي أسيراً في أوفيدو ، ثم تم الإفراج عنه لقاء فدية بلغت ١٥٠ألف دينار[3] .واستمرت الحرب بين الجليقي والأمير . ولـمّا

١ــ ابن حَيّان ، مخطوط **المُقْتَبِس** (القرويين) ، ورقة ٢٧٤ب . (والمطبوع ٣٤٩/٢) .

٢ ــ **دائرة المعارف الإسلامية** (بالإنجليزية) ، ٨٥/١ .

٣ــ ابن حَيّان ، **المُقْتَبِس** ، ٢/ ٣٤٤، ٣٧٣، ٣٧٨، ١٥/٣ .

خشي الجليقي على نفسه حذا حذو السرنباقي فالتجأ إلى الفونسو وبقي عنده ثمانية أعوام ثم تركه على إثر خلاف وقع بينهما. فركن إلى المسلمين في ٢٧١ / ٨٨٤ واستجاب الأمير محمد له [١]، وعاد إلى بَطَلْيَوْس وانتهى الأمر بموافقة الأمير على تعيينه حاكماً لها . ولعله هرب من جِلّيقيه تحاشياً مِن أن يحدث له ما جرى لمحمود بن عبد الجبار بن راحلة في سنة ٢٢٥/٨٢٨ [٢] . وكان ينكث عهده كلما وجد فرصة إلى أن توفي في ٢٧٦ / ٨٨٩ فخلفه ابنه مروان في حكم بَطَلْيَوْس ، ولم يدم سوى شهرين .وبعد وفاته خلفه عبد الله حفيد الجليقي . وكان هذا على صلة بأمراء الشمال ، يحالفهم ضد سلطة قرطبة حتى قتل في ٣١١ / ٩٢٣ أيام الناصر. وخلفه في حكمها ابنه عبد الرحمن وعصا قرطبة لعدة سنوات حتى أذعن للناصر في ٣١٧ / ٩٢٩ وبذلك انتهت متاعب بني مروان الجليقي . (انظر جدول نسب بني مروان الذي كان الاعتماد فيه على تاريخ ابن خلدون) .

١– ابن حَيّان ، **المُقتَبِس** ، مخطوطة القَرويين ، ورقة ٢٧٣ ب (المطبوع ٢/ ٣٤٥) .

٢ – انظر : أدناه ، ص ١٢٤ ؛ ابن حَيّان ، **المُقتَبِس** ، ٣٩٧/٢ .

نسب بني مَروان

عبد الرحمن بن مروان الجِلّيقي
(توفي ٢٧٦ /٨٨٩)

- محمد
  - مروان
  - عبدالله (قتل في ٣١١/٩٢٣)
    - عبد الرحمن (سلم للناصر في ٣١٧/٩٢٩)
- مروان (توفي بعد والده بشهرين)

٣) بنو تُجيب من العرب : بدأ نجمهم بالظهور حينما استعملهم الأمير محمد ليقابل بهم نشاط بني قَسي [١] الذين كثرت ثوراتهم . فبدأ شأن بني قَسي يضعف ونجمهم يأفل شيئاً فشيئاً حتى انتهى أمرهم في بداية حكم الناصر [٢] .

دخل التُجيبيون الأندلس مع موسى بن نُصَيْر ،وتولى أفرادٌ منهم حُكم بعض الثغور بالأندلس مثل دَرْوَقة و سَرَقُسْطَة وبَرْشلونة [٣]. وكانت سياسة الناصر في القضاء على استقلال

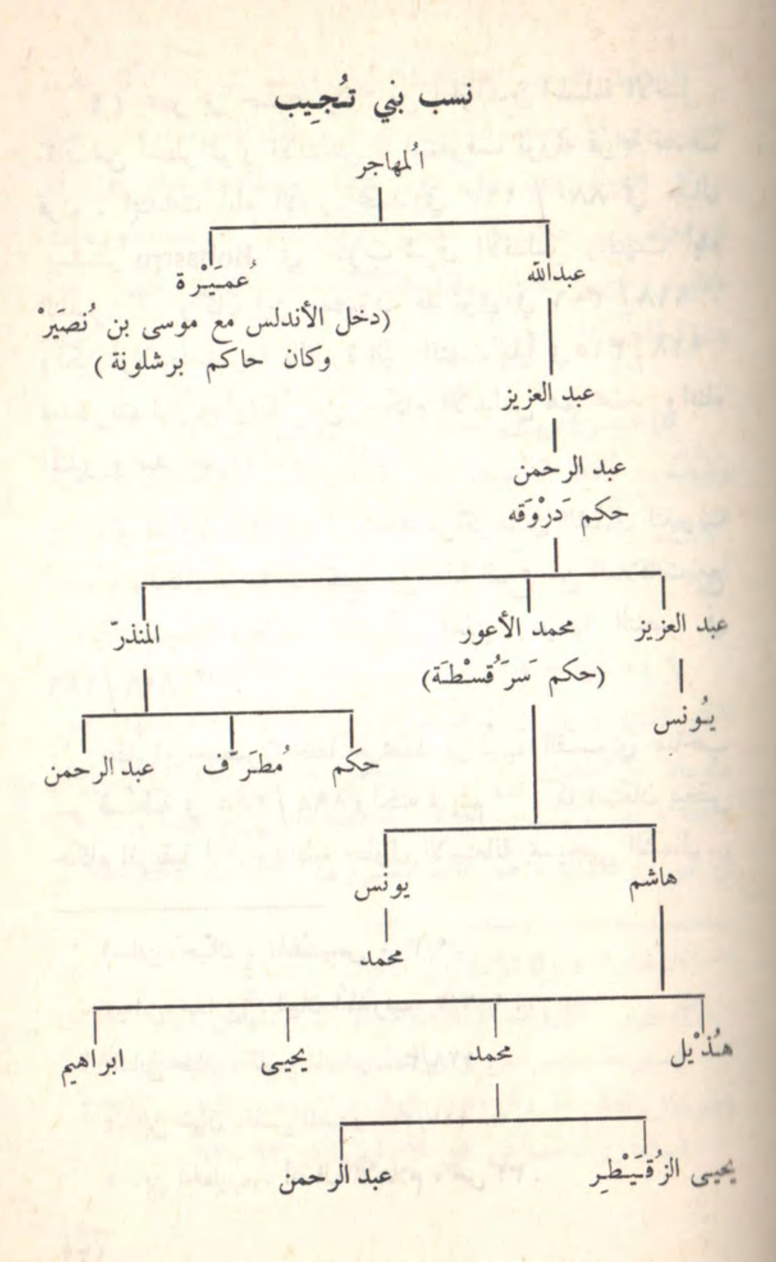
١–العذري، **نصوص عن الأندلس** ، ص ٤١ .

٢–العذري، نفس المصدر ، ص ٤٠ .

٣–ابن حزم ، **الجمهرة** ، ص ٤٠٤ .

الولاة وإخضاعهم للسلطة المركزية قد أخافتهم على سلطتهم وأطماعهم التوسعية . وكان محمد بن هاشم التُجيبي حاكم سرقسطة وقريبه مُطرّف بن منذر التُجيبي حاكم قلعة أيوب ، قد تحالفاً سراً مع راميرو الثاني ملك ليون ليعترفا بطاعته مقابل مساعدته لهما في عصيان الناصر . وحينما خرج الناصر في حملته ضد ليون سنة ٣٢٢ / ٩٣٤ لم يكتف محمد بالامتناع عن الخروج معه بل جاهر بخلع طاعته والاعتراف بسيادة ليون على سَرَقُسطة وما جاورها . وعندما امتنع قادة الحصون المجاورة عن مجاراة محمد في خيانته سار اليهم راميرو وأخضعهم لسلطة محمد . ثم اتسع نطاق هذا الحلف فيما بعد بانضمام طوطة ، ملكة نافارله ، ناقضة لعهدها مع الناصر الذي سار لمقابلة هؤلاء جميعاً في ٣٢٥ / ٩٣٧ ، مبتدئاً بمحاصرة قلعة أيوب . فاستنجد حاكمها مطرف بحليفه راميرو الذي أرسل اليه فصيلة عسكرية . ولكن الأمر انتهى بقتل مطرف ومن معه من جنود حليفه . كما أسر محمد صاحب سَرَقُسْطة ومن كان يعاونه من عائلته . ثم التمس العفو من الناصر فعفا عنه ورده إلى منصبه لمقدرته الإدارية[١]. وهو الذي وقع في معركة الخندق في أسر راميرو ، حليفه السابق وافتداه الناصر . (انظر جدول نسب بني تُجيب ، وكان الاعتماد فيه على **الجمهرة** لابن حزم ص ٤٠٤ ؛ **ونصوص عن الأندلس** للعذري ، ص ٤١ – ٥٤) .

١– عنان ، **دولة الإسلام** ، ٢/٣٨٥–٦ ؛ العذري ، نفس المصدر ، ص٤٥، ٥١ .



٤) عمر بن حَفْصُون : من المُولّدين المسالمة الأصل .
كان من أخطر ثوار الأندلس ، **استغرقت ثورته قرابة نصف** قرن . ابتدأت أيام الأمير محمد في ٢٦٧ / ٨٨٠ في جبال بُبَشْتَرْ Bobastro في جنوب شرق الأندلس وانتهت أيام الناصر (١) . وكان ابن حفصون قد توفي في ٣٠٦ / ٩١٨ ، ولكن أولاده استمروا بالثورة التي انتهت كلياً في ٣١٥ / ٩٢٨ . فعاصرت ثورته أربعةٌ من حكام الأندلس هم محمد وابناه المنذر وعبد الله ، والناصر (٢) .

ولو قُدّر لهذه الثورة أن تتخذ مركزها في الشمال لتغيرت أحداثها ولكان لها نشاط كثير من هذا النوع من العلاقات مع اسبانيا المسيحية ، خاصة بعد أن أعلن زعيمها التنصر في ٢٨٦ / ٨٩٩ (٣) .

عقد ابن حفصون حلفاً مع محمد بن لُبّ القَسَوي صاحب سَرَقُسْطَة في ٢٨٥ / ٨٩٨ ولكنه لم يتم (٤)، كما استعان ببعض حكام افريقيا (٥). وبالطبع حاول الاستعانة بمسيحيي الشمال .

١ـ ابن حيّان ، **المُقْتَبِس** ، ٩/٣ .
٢ـ ابن عذاري ، **البيان المُغْرب، ١٠٦/٢** .
٣ـ ابن حيان ، نفس المصدر ، ١٢٨/٣ .
٤ـ ابن حيان ، نفس المصدر ، ١٢٧/٣ .
٥ـ ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام ، ص ٣٢** .

لقد أيد الفونسو الثالث ملك ليون هذه الثورة (١) كما عُقد حلفٌ بين ابن حفصون وبين غَرسيه ملك نافار ، ولكن بُعْد مركز الثورة عنهم حال دون تقديمهم مساعدة فعالة له . كما قام حلف بين غالب بن حفصون وبين شانجو غَرسيه الأول ملك نافار وأردونيو الثاني ملك ليون ولكن الناصر قضى على هذا الحلف (٢) .

٥) عَمْرُوس بن عمرو بن عَمْرُوس المُولّد (٣) : حاكم وَشْقَة ، أعلن العصيان على الأمير محمد واستعان بغرسيه انيجس . فشن الأمير الحرب عليه ، فعاد إلى الطاعة واستقام أمره (٤) .

٦) مَطروح وعَيْشون: ومن هذه العلاقات ذلك التعاون العابر الذي تم بين البَشْكُنْس وبين مَطروح وعَيْشون ، ابني سليمان بن يقضان الأعرابي الكلبي والي برشلونة الثائر على سلطة قرطبة . وذلك حين لحقا — مع جماعة من أتباعهما — بشارلمان في ممر رونسفال ، ممر باب الشزرى . حدث ذلك بعد أن

١ـ عنان ، **ددولة الإسلام في الأندلس** ، ٣٤١/١ .
٢ـ رينو ، **الغزوات الإسلامية** (بالإنجليزية) ، ص ١٦٦ .
٣ـ هو حفيد عمروس بن يوسف حاكم طليطلة أيام الحكم الأول . وهو بطل واقعة الحفرة في ١٩١ / ٨٠٧ . عنان ، المصدر السابق ، ٢٣٧/١ .
٤ـ العذري ، **نصوص عن الأندلس**، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

عاد من حملته الفاشلة ضد اسبانيا الإسلامية في ١٦١ / ٧٧٨ وأسر أباهما . فكانت معركة عنيفة ، سُحقت فيها مؤخرة جيش شارلمان وعلى رأسها قائده رولان Roland ، فاستطاعا إنقاذ أبيهما .

٧) محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مَرتين : وفي ماردة قام البربر بثورة في ٢١٣ / ٨٢٨ بقيادة زعيمين هما محمود بن عبد الجبار بن راحلة من بني طريف من مَصْمُودة وسليمان بن مَرتين اُلمولّد . واتخذ الثوار حصن فرنكش ، على ضفاف وادي يانه، مركزاً لهم [1] . ولقد حرض لويس ، ملك الفرنج ، الثورة وشجعها . ثم إن سليمان اعتزل محموداً واتجه إلى الشمال [2] فاستقل بها محمود تعاونه أخته (جميلة) التي اشتهرت في الأندلس يومها بجمالها ، كما اشتهرت « بالشجاعة والنجدة والفروسية ولقاء الفرسان ومبارزتهم » [3]. فاستفحل أمره واستولى على عدد من المناطق المجاورة ، ولكن الأمير عبد الرحمن الثاني نشط في حربه ، حتى لحق بمحمود الإعياء ، ففر مع أخته وبعض أتباعه إلى ليون مستجيراً بملكها الفونسو

١ــعنان ، **دولة الإسلام** ، ٢٥٤/١ .

٢ــليفي بروفنسال ، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** (بالإسبانية) ، ١٤٠/٤ .

٣ــ ابن حزم ، **الجمهرة** ، ص ٤٦٦. ويقول ابن القوطية (**تاريخ افتتاح الأندلس** ، ص٨٩ .) : « إن جميلة كانت تدعو اخاها للطاعة ويدعو هو للخلاف ». ويظهر أن هذا كان في مبدأ الثورة ولعله أقنعها فيما بعد، خاصة أن اعتزله رفيقُه سليمان .

الثاني فرحب به وأكرم وفادته ورأى فيه سلاحاً يمكن استعماله ضد سلطة قرطبة ، يعاونه في حربه ضدها . ثم ارتأى محمود أنه من العقل عدم الاستمرار في هذا الاتجاه ، والعودةَ إلى الطاعة. فكاتب عبد الرحمن الثاني طالباً الصفح .ولكن الفونسو علم بالمحاولة فخشي أن يتحول سلاحاً ضده وقد أراده سلاحاً له . فحاصره الفونسو مع بعض جنده ، فقاوم محمود ودافع دفاع الأبطال ولكنه قتل في ٢٢٥ / ٨٤٠ [1] وأُسر الباقون، وكانت أخته منهم . فصارت في نصيب أحد كبار القوم فحملها على التنصر وتزوج بها ، وكان من نسلها فيما بعد أُسقُف شنْت ياقب Santiago de Compostela .

٨) أُميّة بن إسحاق : وهو قرابة النــاصر . فهو أموي من بني مروان [2].وكان الناصر قد استوزر أباه ، ولما توفي قرب أولاده ، ومنهم أحمد وأمية . وفي ٣٢٧ / ٩٣٩ سار الناصر إلى الشمال لقتال راميرو الثاني ملك ليون وحلفائه من الثوار المسلمين ، فعهد بحصار سَرَقُسْطة إلى أحمد بن اسحاق

١ــابن سعيد، **المُغْرِب في حلى المَغْرِب**، ٤٨/١ .ويقول إن فرس محمود جَمح به ــ حين كان القتال يدور بينه وبين الفونسو ــ فصُدِم بشجرة بلوط قتلته . ويروي في ذلك حكاية لطيفة في التدليل على بطولة محمود: « أنه بقي بعد قتله مُجدّلاً في الأرض مدة وفرسانُ الفونسو قيام على ربوة يخشون الإقترابَ منه ظناً منهم أنها حيلة ، وأنه لا يزال حياً . »

٢ــابن حزم ، **الجمهرة** ، ص٩٩؛ ابن خلدون ، **العبر** ، ٣٠١/٢/٤ .

قائد الفرسان وعينه حاكماً للثغر ، لكنه تهاون في أداء مهمته لحاجة في نفسه . ولما أدرك الناصر ذلك سخط عليه وعزله[1]. فظهرت النيات، التي كان يخفيها ،جلياً. واتفق مع أخيه أمية وبيتا أمراً لإعلان الثورة . ولما علم الناصر بذلك اكتفى بنفيهما . ولكن سياسة التسامح أغرتهما على المضي في طريق العصيان، فسار أمية إلى مدينة شنترين في كورة الغرب واستولى عليها وتودد إلى ملك ليون . أما أخوه أحمد فحاول الاتصال بزعماء المغرب الخاضعين للفاطميين،الذين كانوا على علاقة سيئة مع سلطات الأندلس ، للقيام بمؤامرة ضد قرطبة. وعلم الناصر بهذه المحاولة فألقى القبض عليه وأعدمه[2]. وما أن سمع أمية بإعدام أخيه حتى أعلن العصيان والثورة ضد قرطبة [3] وتحالف مع ملك ليون ، ولعله كان ينوي القيام بمحاولة عملية ضد قرطبة . ولكن بعض الموالين للخليفة قاموا ضده واستولوا على المدينة،فالتجأ أمية إلى حليفه راميرو الثاني فرحب به وأكرمه . ولقد قام أمية بدور في الخيانة كبير في الحدث التالي : فقد علت مكانته عند ملك ليون حتى استوزره وجعله من أصفيائه [4] وفي شوال ٣٢٧/ آب ٩٣٩ كانت

١ـ**أخبار مجموعة** ، ص ١٥٦ .

٢ـعنان ، **دولة الإسلام** ، ٣٨٦/٢ .

٣ـالعمري ، **مسالك الأبصار** (مخطوط) ، ٨٢/١/١٦.

٤ـعن لجوء أمية الى ردمير وعونه له ضد الناصر ، انظر : المسعودي، **مروج الذهب**، ٧٣/٣ ؛ البكري ، **جغرافية الأندلس وأوروبا** ، ص ٧٤–٨ ؛

معركة الخندق ، قرب سَمُّورة ، التي تحالف فيها راميرو مع طوطة ملكة نافار ، وفرنان كونثالث حاكم قشتالة [1]. تحت قيادة راميرو ضد الناصر . وكان أمية إلى جانب ملك ليون يعاونه ويدله على عورات المسلمين . وكانت معركة عنيفة ، حارب فيها أمية المسلمين بضراوة . وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين ، وقُتل منهم عدد كبير . وأراد ملك ليون تتبع المسلمين ، لكن أمية حذره الكمين ، ورغبه فيما خلفوه من الغنائم الكثيرة [2]. ثم إن أمية ندم على ذلك فكاتب الناصر معتذراً عن فعلته طالباً الصفح ومُبدياً استعداده للعودة إلى خدمته ، فرضي الناصر وعفا عنه ، وتلك كانت سياسته . ولعله هرب من راميرو [3]، وعاد إلى بلاده نادماً آسفاً .

ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، ٦٨/٨ ؛ الحِميَري، **الروض المِعطار**، ص ٩٨–٩٩ . والظاهر أن هؤلاء نقلوا القصة عن المسعودي فهو أسبق منهم حيث توفي ٩٥٦/٣٤٥ وإن ما ذكروه إعادة لما قاله وبنفس العبارة أحياناً .

١ـليفي بروفنسال ، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** (بالإسبانية) ، ٢٩٢/٤ .

٢ـلا يُظن أنه حذره الكمين تغطية وحرصاً ، للإبقاء على البقية من المسلمين ، إذ بسيفه أسال دماءهم ، وكان محارباً شجاعاً ، بل كان يعني ذلك . إذ أن طريقة الكمائن خطة عسكرية طالما سار عليها المسلمون، وهو السبب الذي جعل شارل مارتل لا يلاحق المسلمين في معركة بلاط الشهداء في ٧٣٢/١١٤ ، حين انسحاب المسلمين ، إذ خاف شارل الكمين .

٣ـمورفي، **تاريخ الأمبراطورية الإسلامية في إسبانيا** (بالإنجليزية) ، ص ٩٨ .

سفارتان مجهولتان
من الفرنج إلى بلاط قرطبة *

أطلق المؤرخون الأندلسيون، والمسلمون عموماً، اصطلاح **الفرنج** على شعوب أوروبية عديدة، تعميماً وتخصيصاً. فمنهم مَن استعملها مُحَدَّدة [1]، قاصدين بها المناطق التي كانت تحكمها الامبراطورية الكارولنجية، التي بلغت قمة عظمتها أيام الامبراطور شارلمان [2]، المتوفى سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م.

---

* نُشر بالانجليزية:

"Two unknown embasies from a Frankish monarch to the court of Cordoba during the reign of al-Hakam II", *The Islamic Quarterly*, London, vol. X, nos. I and 2, 1386/1966.

ثم نُشر بالعربية في **مجلة كلية الآداب** (جامعة بغداد)، العدد العاشر، ١٩٦٧.

١ – أمثال أحمد بن محمد بن موسى الرازي، المتوفى ٣٢٤/٩٣٦ وابن حيّان القرطبي صاحب كتاب «**المقتبس**» المتوفى ٤٦٩/١٠٧٦.

٢ – راجع عاشور، **أوروبا العصور الوسطى**، ١/١٩٥–٧.

تلك المناطق التي تقع وراء جبال البُرْتات [1]، التي كانت فرنسا الحالية تمثل معظمها. كما أُطلق على هذه المناطق أحياناً **الأرض الكبيرة** [2]. ثم أخذت العائلة الكارولنجية تضعف حتى سقطت في سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م، لتحل محلها العائلة الكابيّه في فرنسا [3].

وكانت للفرنج علاقات مع جيرانهم الأندلسيين، تفاوتت بين الحرب العنيفة وتشجيع الخارجين على سلطة قرطبة [4]، الى الصداقة والدعوة إلى المصاهرة [5]. فوُجدت أحياناً كثيرة نشاطات دبلوماسية وتبادل سفاري بين الطرفين [6]. ولدينا أمثلة كثيرة، منها سفارتان – موضوع هذا البحث – حضرتا إلى بلاط قرطبة من أحد ملوك الفرنج أيام الخليفة الحكم الثاني، المستنصر بالله، المتوفى ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م.

يذكر ابن حيّان هاتين السفارتين في موضعين من

---

١ – بهذا المعنى سيستعمل اصطلاح **الفرنج**.

٢ – المقّري، **نفح الطيب** (طبعة القاهرة) ١/١٢٨؛ رينو، **تاريخ غزوات العرب**، ص٣٤–٥؛ (الطبعة الإنجليزية، ص٢٤). انظر كذلك: المراكشي، **المُعْجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص ٢٩.

٣ – عاشور، نفس المصدر، ١/ ٢٤٥–٦.

٤ – عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ١/ ١٦٦–١٨١، ٢٥٤؛ رينو، نفس المصدر، ص١١٥، ١١٢–٣.

٥ – المقّري نفس المصدر ١ / ٣١٠.

٦ – رينو، نفس المصدر، ١٤١–١٤٥.

مُقْتَبِسه . ويظهر أنّ كل موضوع منهما يتعلق بسفارة معينة غير الأخرى . إن كلا السفارتين – حسب روايته – مِن هُوتُو ملك الفرَنج (الإفْرَنْج) إلى الحكم المُستنصر :

الأولى : في ذي القعدة ٣٦٠ / سبتمبر ٩٧١ ، ونَصها كما يلي : –

« وَدَخَلَ بِدُخُولِهِ [بِدُخُولِ رَسولٍ آخَرَ مِنْ دَولةٍ أخرى] أيضاً أشْداكَه [أو أشْراكه] بن عُمَر داود القُومس ، رَسولُ هُوتو مَلِكِ الإفْرَنْج بكتابه أيضاً يُجَدِّد صِلَتَهُ »[٢] .

والسفارة الثانية : في يوم السبت ٩ ذي القعدة ٣٦٣ / ٣١ تموز (يوليو) ٩٧٤،ونصها : « وتَوَصَّلَ إثْرَهُ أشْراكه ، رَسولُ هُوتُو ، مَلِكُ الإفَرنْج ، فأوْصَلَ كتابَه أيضاً مُجَدِّداً لِعَهْدِهِ وَمُؤَكِّداً لِعقْدِهِ » .

قد يُفْهَمَ « هُوتو » على أنه أوتو الأول (أو الثاني) امبراطور ألمانيا .

---

١ – ابن حيّان القرطبي ، **المُقْتَبِس**، مخطوط الأكاديمية التاريخية، مدريد، مجموعة كوديرا، رقم ٢، الأوراق٢٣ ب، ١٠١ أ (طبعة بيروت ص ١٦٩، ١٨٢–٣) . لم يرد –فيما أعلم –ذكر هاتين للسفارتين في مصدر آخر .

٢ – قُومس: كلمة لاتينية بمعنى حاكم ولاية أو مقاطعة ، وقد نستعملها بالعامية « كونت » . وهي Comes . واشتقت منها الكلمة الإنجليزية Count والإسبانية Conde، بنفس المعنى .

وهذه المسألة – نظراً لغموض النص نوعاً ما – محاطة بمشكلتين :

الأولى : هل النص – بقسميه – يتعلق بسفارة واحدة تكررَ ذكرُها خطأ أم بسفارتين ؟

الثانية : هل هي (أو هما) من المانيا ؟ نظراً لكون المرسِل « هوتو (أوتو) امبراطور المانيا ». أو هي من الفرَنْج – فيما وراء البُرْتات – نظراً لوصفه بـ « مَلِك الإفْرَنْج » ؟

المشكلة الأولى :

ليس ببعيد أن النص – بقسميه – يتعلق بسفارة واحدة، كررها ناسخ المخطوط خطأ[١] . ويسند هذا الرأي ما يلي :

١ – إن هناك بعض التشابه في العبارتين –قسمي النص– كما إن اسم السفير (الرسول) متماثل فيهما .

٢ – يُستفاد من النص أن مرسل السفارة الأولى هو نفسهُ مُرْسِلُ الثانية . وعلى ذلك – لو اعتُبِرَتْ سفارتين – فتقع الأولى ، وعلى اعتبار المرسِل اوتو إمبراطور المانيا ، في أيام اوتو الأول (المتوفى ٣٦٢ / ٩٧٣م) والثانية في أيام اوتو الثاني المتوفى (٣٧٣ / ٩٨٣م) ، وذلك متناقض .

٢–نسخة **المُقْتَبِس** في أكاديمية مدريد منقولةعن نسخة فُقِدَت، كانت في مكتبة سيدي حمودة (رقم ٣٣٩) ، في قُسطنطينة بالجزائر .

ذكَرَ عنان [1] السفارةَ الثانية فقط ، في ٣٦٣ / ٩٧٤ على أنها من الإمبراطور الألماني ، اوتو الثاني ، أرسلها تجديداً لعلاقات الصداقة التي كانت بين أبيه – اوتو الأول – وبين الناصر . والظاهر أن عنان اقتبس هذا الخبر من ابن حيّان، ومن نفس مصدرنا الحالي. ويذكر ليفي بروفنسال–نقلاً عن **المُقتَبِس** أيضاً –ويقرر كذلك بأنها من اوتو الثاني[2]. وعن السفارة الأولى فقد أغفلها المؤرخان . أما المستشرق الاسباني كوديرا (المتوفى ١٩١٧) ، الذي استخرج من هذا الجزء من **المُقتَبِس** بحوثاً جيدة ، بعضها يتصل بالدبلوماسية الأندلسية ، فقد اعتبر النص – بقسميه – يتصل بسفارة واحدة [3]. ويناقش المسألة قائلا : بأن أوراق المخطوط من ٢٢ إلى ٢٩–والتي فيها القسم الأول من النص – إنما هي تكرار للأوراق التي تلي ورقة رقم ٩٥ من نفس المخطوط ، حيث يقع القسم الثاني من النص . يعلل الأمر بأن هذه الأوراق الثماني المكررة ضمن أحداث سنة ٣٦٠ هي أحداث وقعت في سنة ٣٦٣ ه ، فمكانها ضمن أحداث هذه السنة ،أي بعد الورقة ٩٥ .

ربما يكون ذلك صحيحاً ، حيث في النص ارتباك وغموض ، ولعل ناسخ المخطوط وقع في هذا الخطأ . ويسند

١–عنان **دولة الإسلام** ، ٤٤٨/٢ .

٢–ليفي بروفنسال، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** (بالإسبانية) ، ٣٨٣/٤.

٣–كوديرا ، **مجموعة الدراسات العربية** (بالإسبانية) ، ٢٠١/٩ حاشية رقم ١ .

رأي كوديرا بأن بعض أحداث ٣٦٣ ه ذُكِرت كذلك ضمن أحداث ٣٦٠ ه . وعلى الرغم من ذلك فلا يكون بعيداً عن الصواب أن يُقال :

١ – ليس من السهولة الاقتناع بأن الأوراق ٢٢ – ٢٩ تكرار لما يلي الورقة ٩٥ . وذلك لأن الناسخ كان ينقل بالتتالي ، فلماذا يكررها حتى ولو كان قليل الثقافة وبالتاريخ الأندلسي على وجه الخصوص .

٢ – لعل الذي دعا كوديرا إلى هذا التفسير هو وجود أحداث في المخطوط من سنة ٣٦٣ ه ضمن أحداث سنة ٣٦٠ ه. ولكن من الممكن فهم ذلك بأن طريقة ابن حيّان في سرد الأحداث – وإن كانت حسب السنين – حينما يسرد حادثة ما في سنة معينة يَتَتَبّع تلك الحادثة حتى نهايتها في السنوات التالية . فيظهر هذا ما جرى حين كان يتحدث عن حوادث سنة ٣٦٠ ه حيث تتبّع أحداثاً استمرت حتى سنة ٣٦٤ ه . وربما أعاد ذكرها باختصار أو لربط الحوادث ، حينما يتحدث عن السنوات التالية، كحديثه حين الكلام عن ابنَيْ الأندلسي [1] .

٣ – لو كانت هذه الأوراق مكررة ، لتطابقت تماماً ، ولكن الاختلاف ظاهرٌ في الأحداث التي ذُكِرتْ والعناوين وحتى في نفس العبارات المتصلة بالسفارة ، كما لا حظنا .

١ – عن ابنَيْ الأندلسي (جعفر ويحيى) راجع : ابن الأبار، **الحُلّة السِيَراء** ، ٣٠٥/١–٣٠٨ ؛ **المُقتَبِس** (طبعة بيروت)، ص٣٢–٥٧ .

٤ – لماذا وقع التكرار في هذه الأوراق الثماني فقط ؟ لو كان الناسخ قد كرر النقل لاستمر فيه ولوقع التكرار في قسم كبير من هذا الجزء .

فيظهر – على ذلك – أن النص يتعلق ، كُل ّ قسم منه ، بسفارة غير الأخرى . أما تشابه اسم السفير فذلك ليس بحجة بل على ّ العكس ، إذ أنه أُرسِل على رأس السفارة الثانية بسبب الخبرة التي اكتسبها من الأولى .

المشكلة الثانية :

هل هما من المانيا ؟

الحق إن النص من هذه الناحية مُحَيِّر، أشبه تقريباً – وبالنسبة لدقة ابن حيّان في استعمال هذه الاصطلاحات كالفِرَنْج – بمن يقول : زرت بيروت عاصمة العراق . ولقد يتحير الدارس – كما تحير كوديرا – فيمن يكون ُهوتُو ملك الإفْرَنْج ! أهُوَ مَلِكُ الفِرَنْج فيما وراء البُرْتَات، أم هو امبراطور المانيا أوتو ؟ والذي يظهر أن كوديرا يُرَجّح سنة ٣٦٣ ه تاريخاً للسفارة التي أرسلها أوتو الأول [١] المتوفى ٣٦٢ ه / ٩٧٣ م ، قبل تاريخ هذه السفارة . ويبدو أن هناك

---

١ – كوديرا ، نفس المصدر والصفحة ، حاشية رقم ٢ .

عدة أدلة تسند أنها من الامبراطور الألماني، أُوردُها مع الرد عليهـا : –

١ – إن اسم الُمرْسِل « ُهو ُتو » ، وهو الاسم الذي استعمله المؤرخون المسلمون لأوتو [١] امبراطور ألمانيا .

ولكن يُرَدّ على ذلك بأن هناك أسماء حكام في دول أوروبية أخرى كفرنسا قريبة النطق من « ُهو ُتو » أو « أوتو » وربما كُتِبَ كُلُها على أسلوب واحد أو متقارب ، نظراً للتقارب بينها . مثل هيو Hugh و أود Eude [٢] . ولقد وُجد اسم لأحد ملوك فرنسا يحمل نفس اسم امبراطور ألمانيا « أوتو » [٣] وربما لم تكن الأسماء الأجنبية مستعملة دائماً بتطابق مع أصلها لدى المؤرخين المسلمين ، خاصة لمن بعُد عنهم . وأحيانـاً نفس الاسم يرد بأشكال مختلفة ك « هوتو » مثلا [٤] . بل إن

---

١ – ابن خلدون ، **العبر** ، ٢٤ / ٢ / ٣١٠ ؛ ابن عذاري ، **البيان المُغرب**، ٢١٨/٢ .

٢ – راجع : رينو، **تاريخ غزوات العرب** ، ص ٨٨ ، ١٧٣ (والطبعة الإنجليزية ، ص ١٤٣،٤٥) .

٣ – أربيل ، **تاريخ إسبانيا** (بالإسبانية) الجزء السادس (**إسبانيا المسيحية**) ص ٥١٦،٥١٥ .

٤ – ورد عند ابن خلدون (نفس المصدر والصفحة) هُو ُتو . وعند ابن عذاري (نفس المصدر والصفحة) ُهو ُتوه. وعند البكري في **المسالك والممالك** ، مخطوط اسطنبول – نور عثمانية – ورقة ١٩٦ أ (**جغرافية الأندلس وأوروبا** ، ١٧٠ ، ١٧٦) : هَوّتَه .

هذا الاسم ورد بقراءات متباينة في الطبعات المختلفة[1] **لنفح الطيب** للمَقّري الذي نقل عن ابن خَلْدون .

٢ – أما بالنسبة لكلمة الإفْرَنْج فلم تكن مقصورة الاستعمال دائماً على الفِرَنْج فيما وراء البُرْتَات لدى جميع المؤرخين والجغرافيين المسلمين . فقد أُطلِقَت على شعوب أوروبية كثيرة [2]، منفردة أو مجتمعة . فربما قُصد هنا بها الألمـــان .

والذي يظهر أن كلمة الِفرَنْج في استعمال ابن حَيّان هنا لا تعني الألمان بل تعني الفِرَنْج فيما وراء جبال البُرْتَات ، وذلك :

أ – إنه وإن كان بعض هذه الاصطلاحات ، كالفِرَنْج وغيرها ، عامة لدى كثير من المؤرخين المسلمين ولكنها ، كلها أو بضها ، تكاد تكون مُحَدَّدة لدى فريق منهم .

ب – لقد أطلق المؤرخون المسلمون على الألمان اصطلاحات كانت أكثر شيوعاً لدى ابن حَيّان وغيره ؛ مثل الصّقَالِبَة

١–ابن خلدون ، طبعة بيروت (نفس المصدر والصفحة) : هُوتُو ؛ قارنه مع **النفح** (طبعة بولاق) ، ١٧٢/١ ، ورد « دُوقُوه » .

٢– عن الفرنج وإستعمالها انظر مثلا : دبلير ، **أبو حامد الغرناطي** ، (بالإسبانية) ، ص ٢٣٦–٩ .

والألمان [1] . وإن ابن حَيّان خصوصاً ، من أكثر المؤرخين الأندلسيين تحديداً لهذه الاصطلاحات على ما يظهر ؛ فيبدو أنه كان يُطلِق على الألمان اصطلاح **الصّقَالِبَة** . وأن نص ابن خَلدون ، حين ذكر سفارة ملك الصقالبة « هُوتُو » ، منقولٌ عن ابن حيان [2] . كما إنه لدينا نص آخر ذكره المَقّري فقط [3] ، يذكر فيه الفِرَنْج ويعني به – بصراحة – فيما وراء البُرْتات ، ويظهر أن هذا النص منقول أيضاً عن ابن حَيّان [4] . فعلى ذلك يكون اصطلاح **الإفْرَنْج** لدى ابن حَيّان في نصه الحالي قد قُصد به فيما وراء البُرْتَات .

ولذلك لا يظهر أن هاتين السفارتين كانتا من المانيا ، يؤيد ذلك أمور :

١–يظهر من النص أن مرسلهما واحد ؛ فاذا اعتبرناهما من المانيا فإن الأولى (٣٦٠ هـ) تقع أيام أوتو الأول (ت ٩٧٣/٣٦٢) والثانية أيام ابنِه وخَلَفِه أوتو الثاني .

٢ – وحتى لو اعتبرناهما سفارة واحدة ، فإذا قبلنا الأولى فقط (٣٦٠ / ٩٧١) فإن أوتو الأول لم يكن في هذا التاريخ في

١– القزويني ، **آثار البلاد** ، ص ٥٧٥ ، ٥٩١ ؛ ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، ص ٢١٩ ؛ دبلير ، نفس المصدر ، ص ٢٤١–٦ .

٢–ليفي بروفنسال ، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** (بالإسبانية) ، ٣٥٢/٤ .

٣–المَقّري ، **نفح الطيب** (طبعة القاهرة) ٣١٠/١ .

٤–ليفي بروفنسال ، نفس المصدر ، ٧٩/٤ .

المانيا بل كان مشغولاً بالنشاط الحربي خارج المانيا [1] وليس هناك من الضرورة والمصلحة الهامة التي تستدعيه ـ وهو في هذه الحالة ـ أن يرسل سفارة إلى قرطبة يخطب ودّها ويُجدّد الصلة بها . وإن هذه الصلة التي احتاجت إلى تجديد [2] . أمّا إذا قبلنا الثانية فقط (٣٦٣/٩٧٤) فإن أوتو الثاني ، غداة وفاة أبيه كان مشغولا ، حيث قامت في وجهه عدة ثورات [3] . فلا متسع له ولا حاجة به لطلب مودة قرطبة أو تجديد صلته بها ـ وأي صلة ـ ولا مصلحة مشتركة أو جواراً . إذن ـ على ذلك ـ فإن نص ابن حيّان يتعلق بسفارتين جاءتا إلى قُرطبة من بلاد الفِرَنْج فيما وراء البُرْتَات . وبالنسبة لتاريخ السفارتين يُقترح أن يكون مرسلهما هو هيو كابيه **Hugh Capep** (ت ٣٨٦ / ٩٩٦) الذي ورث أباه هيو الكبير في ٣٤٥ / ٩٥٦م [4] . وكان هيو كابيه ملكاً قوياً حكم أولاً في باريس وما حواليها . وفي ٣٧٧/٩٨٧ م ، بعد وفاة لويس الخامس ، تُوّج مَلِكاً لفرنسا حيثُ حَلّت عائلةُ كابيه محلّ العائلة الكارولنجية .

ويسند هذا الاقتراح ما يلي :

---

١ ـ **دائرة المعارف البريطانية** (بالإنجليزية) ، ٩٦٥/١٦ .

٢ ـ ويست برج ، **الأكاديمية الروسية** (بالالمانية) ، ص٧/٨٦ . ويقول : إن أوتو الأول كان لا يحب الحكم الثاني .

٣ ـ **دائرة المعارف البريطانية** ، ٩٦٦/١٦ .

٤ ـ عاشور ، **أوربا العصور الوسطى** ، ٢٤٤/١ ـ ٦ .

١ ـ إن السفارتين تقعان في أيام حُكْم هيو كابيه . وذلك يتطابق مع ما يفهم من نص ابن حيّان أنهما من حاكم واحد .

٢ ـ أن مرسلهما ـ على ما يبدو ـ كانت له صلات سابقة سابقة مع قرطبة . وان من أهداف هاتين السفارتين تقوية وتجديد تلك الصلة . وبما أن هيو كابيه جاء إلى الحكم في ٣٤٥ / ٩٥٦ ، خلال أيام الناصر ، فربما يكون قد أرسل سفارة أو أكثر قبل هاتين ، سُجّلَتْ وفُقِدت ، أو أنها كانت ضمن السفارات الكثيرة التي حضرت إلى قرطبة من كل مكان وربما لم تُذْكر على سبيل التخصيص [1] . فإذا لم يكن هنالك ذكر لسفارة ، سبقت له ، أرسلها إلى قرطبة ، فلعله إذاً أراد تجديد الصلة التي كانت لأبيه مع الخلافة الأندلسية . وإن ابن خلدون يُورد خبرَ سفارة جاءت إلى الناصر (ت ٣٥٠ / ٩٦١) « من مَلِك الفرنجة وراء المغرب وهو يومئذ أفوه » [2] . ويمكن استنتاج تاريخ هذه السفارة في ٣٣٩ / ٩٥٠ . وان المقصود بأفوه هو هيو

---

١ ـ راجع : ابن حيّان ، نقلا عن المقّري ، **نفح الطيب** (طبعة القاهرة) ٣٣١/١ ، ٣٤٣ .

٢ ـ ابن خلدون ، نفس المصدر ، ص ٣١٠ ؛ نقله المقّري في **النفح** (طبعة القاهرة) ، ٣٤٢/١ . راجع كذلك : مورفي ، **تاريخ الأمبراطورية الإسلامية في إسبانيا** (بالإنجليزية) ، ص ١٠١ ؛ إمام الدين ، **التاريخ السياسي لإسبانيا الإسلامية** (بالإنجليزية) ، ص ١٠٠ .

الكبير ، الذي توفي ٣٤٥ / ٩٥٦ وترك المُلْكَ لابنه هيوكابيه ، الذي أرسل هاتين السفارتين – حسب ابن حيّان – لتجديد صلة أبيه بقُرْطُبة .

٣ – إن اسم السفير الفرَنْجي عربيّ أو مُستعرَبٌ. واحتمال أن يكون السفير المانياً بهذا الاسم قليل جداً . لكنه من ناحية أخرى ، محتمل جداً ومعقول أن يكون من بلاد الإفْرَنْج ، حيث أن كثيراً من المسلمين – في فترات مختلفة – استقروا في هذه المناطق التي وصلها المسلمون وأثّروا في سكانها منذ أيام الفتح الأولى حتى دولة المغامرين الأندلسيين في فراكسنتيوم [1] .

---

١ – فراكسنيتوم Fraxinetum : اسم لاتيني للقاعدة التي حل بها بعضُ البحارة الأندلسيين ،وأسسوا هناك دولة استمرت حوالي ٨٥ سنة (سقطت ٩٧٥/٣٦٤م) . سيطرت – بعد أن أسست قلعة حصينة في تلك العاصمة التي تقع الآن شمال مرسيلية (فرنسا) –على مناطق في شمال ايطالية وحتى شمال شرق سويسرا عند سنت غالن St. Galen وخور Chur . لقد أطلق الجغرافيون المسلمون على هذه القاعدة «فراكسنيتوم» اسمَ « **جبل القلال** » . وكانت هذه الدويلة تهدد تلك المناطق وتخوّف حكامها من إمتداد سلطة هؤلاء المغامرين الذين تركزوا هنالك وقامت بينهم وبين سكان بعض المناطق علاقات ومصاهرة . ثم تعاون الحكام على طردهم بعد حروب طويلة .راجع : ابن حوقل، **صورة الأرض**، ٢٠٤/١ ؛ الإصطخري ، **المسالك والممالك**، ص٥١ ؛ ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، ٣٦٣/١ ؛ رينو ، **تاريخ غزوات العرب** ، ص١٦٠ –٧ ؛ عنان ، **دولة الإسلام** ، ٤٢٥/٢ – ٤٣٧ .

ولذلك وُجد كثير من الفرنسيين مَن يعرف العربية [1] . كما إن كلمة « قُومِس » في النص ، كوصف للسفير ، استعملها المؤرخون المسلمون كثيراً بالنسبة لسكان اسبانيا الشمالية وبلاد ما وراء البُرْتَات. واختيار شخص مُستعرَب مصيبٌ وضروري لتأدية مثل تلك المهمة .

٤ – إن مثل هذه الأهداف التي أُرسلت من أجلها السفارتان الفرنجيّتان إلى قُرطبة ، طلب صداقة وتأكيد مودة وتجديد صلة ،أكثر معقولية أن تكون من قِبَل دولة مجاورة كالفرَنْجة ، خاصة من سلطة ناشئة . فإن فائدة هذا النوع من الدبلوماسية بالإضافة إلى أنه يؤمن حدود الدولة التي أرسلتها من هجوم قد يتوقع من تلك الجهة التي عقدت الصلة معها والتي قد يثيرها المنافسون في الداخل أو الأعداء في الخارج مما قد يستنفد جهود الحاكم التي يحتاجها في تثبيت ملكه في فرنسا في تلك الفترة، فبالإضافة إلى ذلك فإن هذا النوع من الدبلوماسية مع قُرطبة ، كقوة عظيمة مجاورة ، تؤمن عدم وقوف هذه القوة الى جانب الأعداء والمنافسين للسلطة الفرنسية ، أو الاستجابة لنجدتهم . إذ قد حدث أن استعان بعض حكام الفِرَنْج أو الشِمال الاسباني بالأندلس ضد منافسيهم [2].

---

١ – رينو ، **تاريخ غزوات العرب** ، ص ٢٣٣ (والطبعة الانجليزية، ص ٢١٧ ، ٢٢٨) .

٢ – راجع : عنان ، **دولة الإسلام** ، ٢١٦/١، ٢٦٢ .

إذن فمرسل هاتين السفارتين الفرَنجيتين هو **هيوكابيه** ، ملك فرنسا الذي ربما كان محاطاً بالمنافسين . فهو بأشد الحاجة إلى صداقة الدول المجاورة ، خاصة قرطبة التي بلغت يومها حداً عظيماً من القوة والرقي الحضاري . وهذا مبررٌ كافٍ لطلب مودتها وتأكيد الصداقة بين البلدين المتجاورين .



الآثار الإسلامية في الأندلس *

تشتملُ محاضرةُ اليوم – بعد المقدمة – على عرض تاريخي للآثار الإسلامية في الأندلس ، ثم مشاهدة لبعض الصور .

وهذا الحديثُ لا يشمل بصورة رئيسية الفنون الإسلامية ولا حتى فنّ عمارتهـا في أي مِن موطـن حضارة الإسلام . بل هو حديث وصفي للآثار العمرانية في الأندلس ، الذي يمثل فردوس زمانه . وقد اعتدنا أن نُسمّه **الفردوس**

* القيت في قاعة المحاضرات العامة بجامعة الرياض ، في يوم الأحد ٢٣ شوال ١٣٨٨هـ / ١٢–١–١٩٦٩ م ، في الموسم الثقافي لجمعية التاريخ والآثار بقسم التاريخ في كلية الآداب . وكان في نهايتها عرض (بواسطة الشرائح) لصور عن بعض الآثار الاندلسية التي ما زالت قائمة . وستظهر في العدد الاول من نشرة الجمعية . وقد نُشرت (هذه المحاضرة) في جريدة **الجزيرة** (بالرياض) العدد ٢٣٠ ، ١٠ ذو القعدة ١٣٨٨ / ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ . ثم نُقحت وزُوّدت بالمصادر ونُشرت (على حلقتين) في مجلة **رابطة العالم الإسلامي** ، السنة السابعة ، ١٣٨٩ / ١٩٦٩ ، في العددين : الثاني (ربيع الثاني / يونيو ، حزيران) والثالث (جمادي الأولى / يوليو ، تموز) .

المفقود أو **الموعود** ، وإن كنت أسميه **بالفردوس الموجود** من بعض النواحي . والحديثُ دون شك يُثير في النفس العِبْرة كما يُثير فيها العَبْرة .

وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نَدْرس هنا أثر الحضارة الإسلامية الأندلسية على اسبانيا أو بقية أوروبا والعالم خلال التاريخ . كما إننا سوف لا نَدرس الأثر الذي تركه الإسلام وطَبَع به حياةَ الناس في إسبانيا حتى اليوم ، والتي تتمثل في غير الآثار المعمارية (التي هي لوضوع هذه المحاضرة) ، وأعني بها ما تَفَلّتَ مِن المخطوطات من يد الحقد الأعمى والجهالــة .

إن هذه المخطوطات موزعةٌ في عدد من مخازن الكتب في اسبانيا والبرتغال اليوم ، وهي بحاجة الى عناية المؤسسات العلمية والحكومات الإسلامية التي يهمها شأن هذا التراث . ويقتضي ذلك من الدول الإسلامية (بالتعاون أو على انفراد) إحياء هذا التراث بتحقيقه ونشره . وبالإمكان أن يتم بانشاء معهد او مؤسسة ذات إمكانية وقدرة على القيام بهذه المهمة .

كما أعني المؤثرات الأخرى في حياة الناس هناك ، والتي تشمل عدة جوانب في حياة الشعب الإسباني خاصة (وكذلك في البرتغال) ، من اجتماعية وثقافية ولُغَوية وفنية وأدبية وعمرانيــة .

ففي اللغة مثلا نجد كلماتٍ كثيرةً في اللغة الإسبانية

والبرتغالية عربيةَ الأصل : كالقائد Alcaide والعود Laud والديوان Aduana والسّكّر Azucar والمخدة Almohada والقطن Algodon والتعريفة الجمركية Tarifa وغيرها كثير[١] . وكذلك ما يستعملونه في اسلوب الخطاب من كلمة أستاذ Usted . ومِن اللطيف إن بعض الكلمات الموجودة في الاسبانية أو غيرها من اللغات الأوروبية والتي هي ذات أصل عربي نقلناها مرة أخرى إلى العربية بصيغتها المُفَرْنَجَة ، مثلا : أدميرال Admiral (أمير البحر) والترسانة Atarazana (دار صناعة السفن) .

فالحديث الحالي سيتجنب هاتين الناحيتين (أثر الحضارة الأندلسية على أوروبا وأثر الإسلام على حياة الإسبان في غير العِمارة) . كما سيتجنب الحديثَ عن مالم تُتح الفرصة لي لحد الآن لدراسته ، وهو فن العِمارة الأندلسي . أي دراسة الجانب الفني والنظريات العمرانية الهندسية التي قامت عليها هذه الآثار الأندلسية ، وكذلك ما اندثر منها ولم يبق لنا غيرُ وصفها في كتب التاريخ والجغرافية والرحلات .

ولولا الذي بقي لنا من هذه الآثار قائماً ، لِتَدُلّ على صدق هذا الوصف، ربما لا نكرنا على الواصفين تماديهم في الخيال . وحين نُنصفهم نقول : إن لهم خيالاً مُبدعاً أو

١ – راجع : محمد عبد الله عنان ، **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال** ، ص ٤٤١ ؛ لطفي عبد البديع ، **الإسلام في اسبانيا** ، ص ١١٢ .

لعلهم كانوا يرغبون ويتمنوْن أن تكون تلك الخيالات واقعاً .
كما تمنت خيالات كتاب ألف ليلة وليلة بعضَ الآمال التي تحققت ، ككفكرة بساط الريح التي تعبر عن السرعة في الانتقال .

ولذلك سيكون الحديث منصباً في أكثره على الجانب التاريخي لما تَبَقّى مِن هذه الآثار سليماً أو مشوهاً وكذلك على الناحية الوصفية له ،راجياً أن يتيسر لأحد دراسةُ الجانب الفني الذي لم تكن هذه الآثار القائمة وما اندثر منها إلا ثمرة له . وهذه الدراسة (الفنية) هي قَطْعاً بحاجة إلى جهد كبير .

وقبل الاسترسال في الحديث عن هذه الآثار لا بد من بيان أمور :

أولاً : إن حديث الآثار الأندلسية يَنْصَبّ في أغلبه على القائمة منها ، وهي لا تمثل إلا جزءاً من الإنتاج العمراني الذي اندثر منه الكثير بفعل الإنسان أكثر مما اندثر بفعل الزمان.

وهذه الآثار بحاجة الى الإهتمام والرعاية ، تنقيباً وترميماً وإعادة . وهذا ما تقوم ببعضه السلطات الإسبانية العلميـة والرسمية . والدول الإسلامية مَدْعُوّةٌ للإسهام في هذا الأمر بأشكال كثيرة . فَلِمَ لا تكون بعض زخارفِ بناياتنا الرسمية والعلمية مُزْدانَةً بِقِطَعٍ من هذا الفن ؟

ثانياً : إن هذا المستوى العمراني وغيرَه من جوانب

الحضارة الإسلامية لم يكن مقصوراً على الأندلس ، الذي هو موضوع محاضرة اليوم .

ثالثاً : إنه لَتَجَنٍّ عظيم ومجافاةٌ لحقيقة التاريخ أن يُوصف هذا الإنتاجُ الحضاري وغيرُه (وكذلك فكراً وتاريخاً) بقومية معينة أو يُحْسَرَ ويُنسب إلى جنس بذاته فهو تراث الإسلام الذي هو ملكٌ لجميع المسلمين.

رابعاً : ومن الناحية الأخرى فإن إطّلاعَنا على هذه الآثار يُظْهِر المستوى الرائع لفن العمارة الإسلامي في الأندلس .

خامساً : وهذا العمران (وَفَنّه) كان شاملاً . وهو يُعتبر دليلاً على الرقي الذي وصله المسلمون في الأندلس في كافة مناحي الحياة وشؤونها ، المادية منها والروحية والمعنوية والاجتماعية . وهذه الآثار الإسلامية المتبقية في إسبانيا والبرتغال شاهد على ما بلغته حضارةُ الإسلام من أصالة وعمق تصاغرت أمامها ليس فقط أحداث القرون بل وصارعت أيادي الهدم ومَعَاوِلَ التحطيم . ولا زالت هذه البقايا نابضة بالحياة وبحرارة العقيدة الإسلامية [١] .

سادساً : فهذه الحضارة الشاملة التي كان الجانب الفني - بروعة آثاره وفنيته - أحَدَ واجهاتها ، ليست إلا واحدة مِن مواليد العقيدة الإسلامية التي كانت للناس - كل الناس -

١ - راجع ايضاً : عبد البديع ، **الإسلام في اسبانيا** ، ص ١٧٩ .

رَشَداً وهداية ونعمة . وهـذا الحكم (الكلام) نابع من منطق الإسلام ومتفق مع طبيعته . فكما إن الإسلام لا يعرف الفصل بين حيَوات الناس (حياة : دينية واجتماعية وعاطفية ومادية وفكرية) وبين السلطة ، فلا يمكن الفصل بين هذه الأمور من ناحية ولا بينها وبين الإسلام من ناحية أخرى . والقرآن الكريم يتحدث في السورة الواحدة عن أمور الدين (الروح والعبادة وغيرهما) كما يتحدث عن أمور الدنيا دون فصل بينها . وحتى المباني الإسلامية في مختلف بقاع الإسلام تتشابه أحياناً في كثير من أسسها . والاختلاف في أشكالها لا ينفي عنها صفة الوَحدة الناجمة عن الوَحدة الروحية التي تنتظم المجتمع الإسلامي والتي أوجدتها تعاليم القرآن الكريم [1] .

ويُمثّل المسجدُ في تاريخ الإسلام أساسَ العمران في المدينة المسلمة أو التي يريد طبعها بطابعه ، كما يمثل أساسَ الحياة في المجتمع المسلم ،ويكون المنارَ الهادي في شؤون حياة المسلمين.

فكان أولَ ما يُشيّد في المدينة المسجدُ الذي يُعتبر بعد ذلك مركزَها وقلبها النابض ،ومنه تبدأ واليه تنته طرُقاتُها . كما يكثر نشاط الحياة اليومية حوله أو قريباً منه أو في الطرق المؤدية اليه .

وهذا نلمسه جيداً في المدن الإسلامية في إسبانيا التي لا تزال (بعضها) تحتفظ بقدر من طابعها الإسلامي . يُضاف

١ـ بامات ، **دَوْر المسلمين في بناء المدنية الغربية** ، ص ٩٢-٩٣ .

إلى هذا إن المسجدَ لم يكن يُعتبر محلاً للعبادة فقط ، بل كان جامعة لتدريس العلوم المختلفة وملتقىً للمسلمين ومُنْطَلَقاً لكثير من نشاطاتهم واجتماعاتهم . وذلك ينطبق بكليته على مسجد قرطبة الجامع الذي سيتناوله الحديث .

سابعاً : إن الجانبَ الفني والعمارةَ نمَتْ في ظل الإسلام بسرعة مُذهلة ، كما نما غيرُها من ألوان المعارف والنشاطات الإنسانية .

ويوم انطلق المسلمون من جزيرتهم لم يكونوا يملكون شيئاً ذا قيمة من فن العمارة أو غيره ، ولكنهم استفادوا مما وجدوه في البلدان المفتوحة وحوّروا فيه وصهروه في بوتقة الإسلام [1] ثم ساروا فيه إبداعاً وتنمية ورعاية ، لأنهم كانوا يملكون العقيدة الإسلامية التي هي أساس كل خير وإبداع وتقدم. وذلك ما نراه أيضاً بالنسبة للأندلس، حيث يوم دخل المسلمون فاتحين لم تكن لديهم الأجهزة الفنية ولا يملكون المهندسين المعماريين أو وحدات أخرى (وإن كانت قد توفرت لديهم بعض المعلومات السابقة من البلدان المختلفة بعد أن تركوا جزيرتهم وقبل وصولهم الأندلس). بل إنهم بعد فتحهم لقرطبة– مثلاً – أقاموا مسجداً بسيطاً بنوه بأنفسهم . وقد أشرف على تحديد قبلته وموضعه مهندسُ المساجد ومحددُ اتجاهاتها في تلك الفترة

١ ـ بامات ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

وهو حَنَش بن عبد الله الصَّنْعاني[١] .

ثامناً : وبناء على كل ما تقدم فإن أيّةَ محاولة لتجريد هذه الأمور أو التراث وإبعادها عن العقيدة الإسلامية أو حتى دراستها من غير بيانٍ لهذا الارتباط ، أو بدون إقرارٍ لهذه البنُوّة ، فإن هذه الدراسة تعتبر قاطعةً لنسب حقيقي ومُنكرةً لرباط وثيق . وبالتالي فهي دراسة غير علمية ومُخالفة للمنطق التاريخي ولروح الواقع ولطبيعة الأمور . ولا يهمنا كثيراً بعد ذلك إذا كانت هذه الدراسة (غير العلمية) والأسلوبُ (غير المنطقي) نتيجةً للجهل وسوء الإقتداء ، أو كانت عن خطة مقصودة وهدف مرسوم .

تاسعاً : ولذلك لا بد لكل دراسة تسعى نحو الدقة العلمية وأمانة البحث المتحري للحقيقة حين تتناول أي جانب من جوانب الحياة الإسلامية : فكرية أو إجتماعية أو أي ناحية من الحضارة الإسلامية ، لا بد أن تُرْجِعَ تلك الدراسةَ وتعود بكل ذلك الى منابعه وتربطه باصوله المتمثلة في العقيدة الإسلامية . لإن هذه الجوانب هي ثمار لتلك العقيدة ، وما كانت لتوجد بدونها .

وعلى هذه الأضواء السابقة يجب أن يُنظر إلى الآثار الإسلامية في أصالتها وروعتها وفنيتها وطابَعها ووجهتها واليد المنتجة لها . فهي آثار أبدعتها يدُ المسلم في تلك الأرض ، مِن

١ـ المَقّري ، **نفح الطيب** (ط . بيروت) ، ١ / ٢٨٨ ؛ سالم ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، ص ٣٨٢ .

أي جنس كان ، على أصول فنية نشأت وترعرعت واقتبست في ظل الإسلام وعلى أساسٍ منه فكانت مولوداً إسلامياً . ومن غير الممكن تجريد هذه الصفة عنها أو دراستها كقطعة فنية ؛ وكيف لقطعة فنية إلا أن تكون مُعَبِّرَةً حتى لو كانت مجزّأة مجرّدة ؟ فالآثار الإسلامية في الأندلس ـ كما سنلحظ ذلك ـ قِطَعٌ حية نابضة بالحياة ناطقة بروح العقيدة هاتفة بمسجد الإسلام . فاستمِع اليها وهي تحكي قصةَ مجدٍ غبر ومقامَ أمةٍ اندثر . ولكنها مع ذلك وإن كانت تثير في النفس الأسى فهي تحثها الخطى على الدأب والعمل وتُشير إلى مصدر القوة وموئل العزة المبشّر بالأمل . وكل ذلك لا يأتي بالتمني ولكن « ما وَقَر في القلب وصدّقه العمل . »

وبعد هذه المقدمة أرجو ألا يكون قد حل بالساحة السأم وأدرك القومَ الملل .

* * *

الأندلسُ ـ أيها السادة ـ مُصطَلَحٌ تاريخي يشمل كل ما كان تحت الحكم الإسلامي من شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا والبرتغال اليوم) . وكان ذلك يشمل كل البرتغال تقريباً وأكثر إسبانيا الحالية . والأندلس كذلك مدلول تاريخي وحضاري يشمل كل ما خلّفه المسلمون هناك ، ما بقي منه أو اندثر ، من آثار عمرانية سنتحدث عنها وأشياء أُخرَ .

ولم يكن فتحُ المسلمين للأندلس مجردَ حدثٍ سياسي أو

إحتلال عسكري ، بل كان حدثاً حضارياً وإنجاز اً رائعاً وإعلاناً عن حياة جديدة حلت تلك الأرض ، كان لها أثر في تلك الديار وما جاورها من الأقطار .

ولقد وصفت الشاعرة الألمانية هيروسويثا Hroswitha (القرن العاشر الميلادي) قُرطبة بأنها « جوهرة العالم »[1] .

ويكفي أن نذكر بأن أهل مدينة قُرطبة (والمدن الأخرى) يومها كانوا يستطيعون الخروج بكل سهولة في الليل، حتى وقت المطر ، حيث شوارعها المرصوفة المضاءة بالمصابيح العامّة مسافة أميال كثيرة[2]. في حين ظلت مدينة لندن – مثلا – سبعة قرون بعد ذلك لا يوجد في طرقاتها مصباح عامّ واحد يضيء ليلا . وفي باريس كان من الصعوبة الخروج في الليل في يوم مطير حيث سيغوص الإنسان في الوحل[3] .

ويوم كانت قُرطبة وغيرها من مدن الأندلس ينعم أهلها بالحمامات العامة الشيقة الأنيقة (حيث كان عددها في قرطبة ٩١١ أو أقل من ذلك) ، في هذا الوقت كانت عادة الغسل والاستحمام تُعتبر في عدد من الدول الأوروبية مُنكرةً ووثنية[4] !

ويُورد لنا الجغرافي الأندلسي ابو عُبَيْد البَكري (المتوفى ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) نصّاً ينقله عن رحّالة أندلسي

١ – انظر : **أندلسيات** (المجموعة الاولى) ، ص ٤٦ .
٢ – المقري ، **نفح الطيب** (طبعة بيروت) ، ٤٥٦/١ .
٣ – حتى ، **تاريخ العرب** ، ٢ / ٦٢٦ .
٤ – عاشور ، **المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية**، ص ٥١ .

عاش في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، شاهد وعرَف ذلك بنفسه . فيقول في وصف بلد الجلالقة (سكان جليقية ، في الشمال الإسباني) : « وأهلُه أهلُ غَدْرٍ ودَناءَة أخلاق ، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد . ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها الى أن تنقطع عليهم ، ويزعمون ان الوسَخ الذي يعلوها مِن عرقهم تَنْعَم به أجسامُهم وتصح أبدانهم . وثيابهم أضيقُ الثياب ، وهي مُفرَّجة يبدو مِن تفاريجها أكثرُ أبدانهم . »[1]

وكانت بدايةُ الفتح الإسلامي للأندلس في ٩٢هـ / ٧١١ م . وقد تم على يد أبطال الفتح الكثيرين ، وفي مقدمتهم طارق بن زياد وموسى بن نُصَيْر وابنه عبد العزيز .

وبعد ثلاث سنوات من اليوم سيصادف مرورُ ثلاثة عشر قرناً على هذا الحدث العالمي التاريخي الكبير . وحبذا لو قامت بعض الدول الإسلامية متعاونة مع هيئاتها العلمية للاحتفال بهذه المناسبة الجليلة . ولعل جامعة الرياض (وكافة الجامعات في البلاد الإسلامية عربية أو غير عربية) تكون ممن سيقدّر لها الإسهام في هذا المجال . وكنا نتمنى ولا زلنا – حيث متسع من الوقت – ليحتفل كافة المسلمين في العالم (وقد احتفل قليل منهم كالمغرب وباكستان) بمرور أربعة عشر قرناً على أروع حدث فريد – وسيظل كذلك – في تاريخ كرتنا الأرضية ، ذلك هو نزول القرآن الكريم على رسولنا محمد الأمين ﷺ .

١ – أبو عبيد البكري ، **جغرافية الأندلس واوروبا** ، ص ٨١ .

كانت الأندلس جزءاً من أرض الإسلام وقد اعتز بها المسلمون مِن أهلها أو مِن غيرهم . ويُعبّر ابنُ حزم الأندلسي عن هذا الاعتزار بقوله :

يا جَوْهَرَ الصين سُحقاً فقد غَنيتُ بيا قوتةِ الأندلس

وقد غدت اليوم (الأندلس) جزءاً من تاريخ الإسلام وحضارته .

***

وبعد أن استقر المسلمون في الأندلس بدأ الانتاجُ الإنساني ودَخَل الناس في دين الله أفواجاً ، لمبادئه المشرقة التي لمسوها عملياً في أهلها الفاتحين . وانصهرت كل هذه العناصر والأجناس بروح الإسلام .حتى ليَذْكر المورخون بأن أكثر المسلمين في اسبانيا كانوا من أهل البلاد الأصليين الذين سُمّوا بـ« المُولّدين » . ولم أستطع لحد الآن معرفة مقدار سكان الأندلس ، لكن من المحتمل أن يكون حوالي خمسة عشر مليوناً أو أقل . كل هذه العناصر اشتركت في إقامة العمران .

ولقد ذهب الكثير من الآثار الإسلامية الأندلسية خلال القرون ، وأكثر ما ذهب كان بفعل الإنسان ، حيث هُدّمت كثير من تلك الآثار الإسلامية بفعل حُمّى التعصب وريح التزمّت المقيت. وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت بعضُ هذه الآثار متمثلا في المساجد (التي أصبحت الآن كنائس) أو بعض القصور أو الحصون ، متناثرة في عدد من المدن الإسبانية

والبرتغالية . وسنستعرض أهم هذه الآثار المتبقية حتى اليوم ، والتي نجدأهمها في مدن ثلاث في اسبانيا هي : قُرطبة **Cordoba** وإشبيليه **Sevilla** وغَرناطة **Granada** . ولا شك إن هذه الآثار العمرانية ، مدنيّة كانت أو حربية ، أثرَها على العمارة في إسبانيا وعددٍ مِن أقطار أوروبية أخرى [1] .

قرطبه

افتتح المسلمون قُرطبه في محرم ٩٣ هـ / اكتوبر (تشرين الأول) ٧١١ م . ولم يتخذوها عاصمة لهم في مبدأ أمرهم ، بل اتخذوا إشبيليه . ثم انتقلت العاصمة إلى قُرطبة بعد ذلك بخمس سنوات . وبقيت قرطبه تزداد ازدهاراً وتتسع عمراناً ويرتفع فيها منار العلم في مختلف الأصول . ثم قامت مدينة خِلافية في ضواحيها ، على أقدام جبل العروس وعلى بعد خمسة أميال شمال غربي قُرطبة . تلك هي مدينة **الزهراء** التي بناها الخليفة الناصر . ثم ابتنى المنصور بن أبي عامر ضاحية ملوكية في شرقي قُرطبه وهي مدينة **الزاهرة** .

ولقد ذكر الشقّنْدي في رسالته وابن سعيد المغربي كذلك حسبما أورده المَقّري في **نفح الطيب** [2] : « إن العمارة

١ – عاشور ، **المدنية الإسلامية** ، ص ١٩٦ ؛ بامات ، **دور المسلمين** ، ص ٩٤ .

٢ –(ط . بيروت) ١/٤٥٦ ، ٣/٢١٦ .

اتصلت في مباني قرطبه والزهراء والزاهرة ، بحيث إنه كان يُمْشَى فيها لضوء السُرُج المتصلة عشرة أميال » .

وكانت قرطبه تحتوي على واحد وعشرين رَبَضاً [١] (أي: حيّاً) . وبلغ عدد دُورها أيام الخلافة الأندلسية بما يقارب ٢٢٠ ألف دار . وهذا ما حمل البعض أن يقدّر عدد نفوسها بمليون نسمة [٢] ، وإن كان البعض الآخر قد قدره بنصف ذلك [٣] . وبلغ عدد حوانيتها بما يقرب من تسعة آلاف وحماماتها ما دون الألف بقليل ومساجدها بما يقل قليلا عن أربعة آلاف ، وذُكر أقل من ذلك [٤] . ولم تبق من هذه العمرانات إلا القليل أو أقل منه .

وعن الزاهرة والزهراء فقد اندثرتا كلياً تقريباً . ولكن منذ بدايات هذا القرن بدأ علماء الآثار والباحثون الإسبان بالتنقيب فيهما ، وقد استطاعوا أن يعيدوا بناءَ بعض أجنحة الزهراء ، وهم مستمرون في عملهم [٥] . وكانت الزهراء يوم عِزّها قمةً رفيعة في فن العمارة والزخرفة . وقد بلغ عدد السواري التي فيها ٤٣٠٠ سارية [٦] .

١ـ المقري ، **نفح الطيب** ، ١/٤٥٨ .
٢ـ عاشور ، **المدنية الإسلامية** ، ص ٥٠ .
٣ـ انظر : سالم ، **تاريخ المسلمين** ، ص ٢٩٥ .
٤ـ المقري ، نفس المصدر ، ١/٥٤٠ .
٥ـ عنان ، **الآثار الاندلسية** ، ص ٣٦ .
٦ـ **نفح الطيب** ، ١/٥٢٤ .

ومن الآثار الباقية في قرطبه: قصرُ قرطبه الخليفي، الذي يقع قريباً من مسجدها الجامع وعلى مقربة من نهر الوادي الكبير Guadalquivir .

أما مسجدُ قرطبه الجامع فهو أهمُ ما بقي فيها من الآثار الإسلامية . ولقد وصفه عددٌ من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين باوصاف رائعة واعتبروه أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط [١]. ومن الوجهة العلمية فقد كان أكبرَ جامعة إسلامية (أو من أكبرها) تُدرّس فيها كافةُ العلوم ويَفِدُ اليها الطلاب من مختلف الأقطار. وكان ممن دَرَس فيه من الوافدين الراهبُ جربرت Gerbert الذي أصبح فيما بعد بابا باسم سلفستر الثاني Sylvester II (٣٩٠-٣٩٤هـ/٩٩٩-١٠٠٣ م) [٢].

وقد قال رينو عن هذا البابا بأنه : « انتجع إسبانيا طلباً للعلوم الطبيعية والرياضية ، فبلغ مِن العلم مبلغاً خُيّل لعامة فرنسا إذ ذاك أنه ساحر » [٣] .

ووصف عدد من الجغرافيين المسلمين ، كالإدريسي وغيره، هذا المسجدَ بأروع الأوصاف، بعد زيارتهم له . فكان مِن أجَلّ ما عرفت الدنيا إتقاناً بالغ الغاية، « يحار فيه الطَرْفُ ويعجز عن حسنه الوصف فليس في مساجد المسلمين مثله

١ـ راجع : **نفح الطيب** ، ١/٥٤٥-٥٦٣ ؛ سالم، **تاريخ المسلمين** ، ص ٣٧٧ .
٢ـ قارن : بامات ، نفس المصدر ، ص ٣٣ .
٣ـ رينو ، **تاريخ غزوات العرب** ، ص ٢٩٦ .

تنميقاً وطولا وعرضاً »[١] .

وكان هذا المسجدُ أحدَ المآثر التي تميزت بها قُرطبه وكان مصدرَ فخرها ، وذلك ما يعبر عنه الشيخ الإمام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية »[٢] :

بأربعٍ فاقَتِ الأمصارَ قُرطبَــةٌ
وهُنَّ قَنْطَرة الوادي وجامِعُها

هاتان ثنتـــان ، والزهراءُ ثالثة،
والعلمُ أكبرُ شيءٍ وهو رابعُها

وحين افتتح المسلمون قُرطبه أقاموا مسجداً بسيطاً أسس حَنَشُ الصنعاني قِبْلَتَه بيده . وبمرور الزمن تكاثر المسلمون الجدد والوافدون منهم إلى الأندلس وكثرت أعدادهم فلم يعد يتسع ، فوضعوا سقائف يصلّون تحتها فازدحمت بهم أيضاً . ولما جاء عبد الرحمن الداخل كان هذا من الأمور التي اهتم بها . وكان هذا المسجد البسيط قد أُقيم في شطر كنيسة ، وبقيت الكنيسة بجواره ، فعرض الداخل على رؤساء المسيحيين بقُرطبه بيعها وأوْسَعَ لهم في البذل ولكنهم رفضوا.

وهذا لا يدل فقط على التسامح والحرية التي عاملهم بهـا الإسلام بل يدل ايضاً على اقتناعهم وثقتهم بطبيعة الاسلام التسامحية .

حيث إنهم رفضوا ذلك رفضاً باتاً رغم إلحاح الأمير عليهم .

١ـ راجع : سالم ، نفس المصدر ، ص ٣٧٧ .

٢ـ **نفح الطيب** ، ١/٦١٥ ـ ٦ .

لكنهم وافقوا بعد ذلك على أن يبيح لهم بناء كنيستهم التي كانت خارج الأسوار ، فوافق الداخل على طلبهم وهدم الكنيسة والمسجد القديم [١].

وبدأ عبد الرحمن الداخل بناء جامع قُرطبه بأسلوب جديد في سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م وتم أكثره . ولما توفي الداخل سنة ١٧٣هـ أتم ابنه هشام بناءَه ومأذنتَه وسقائفَ لصلاة النساء ، وبناء ميضأة . **وبذلك يكون قد مرّ الآن على ابتداء بناء هذا المسجد ما يزيد على اثني عشر قرناً .**

أما المرحلة الثانية فهي التوسعة التي أضافها عبد الرحمن الأوسط في ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م ثم زاد في عمقه في سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م. وكان قبل هذه المرحلة الثانية له بعدة سنوات قد غزا النورمان الأندلس من شواطئة الغربية . هاجموا إشبيليه فأراد بعدذلك واليها عبد الملك بن حبيب تحصينها إثر هذه المحنة.

ويروي لنا ابن حيّان القُرطبي [٢] أن هذا الوالي كتب إلى الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) في وقت كان فيه مشغولاً ببنيان زيادته بالجامع بقُرطبه وذكر الوالي للأمير : « أن بُنيان سور مدينة إشبيليه وتحصينَها أوْكَدُ عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجامع ، فعمل الأمير برأي الوالي في بنيان سور إشبيليه ، ولم يثنه ذلك عن بنيان الزيادة فأعطى كلاً منهما

١ـ المقري ، **نفح الطيب** ، ١/ ٥٦٠ ـ ١ .

٢ـ **المُقْتَبِس في أخبار بلد الأندلس** (بيروت ١٩٦٥) ، ص ٢٤٤ .

بقسطه من إرهاق العزيمة والسخو بالنفقة إلى أن كملا معاً كما أراده » . وفي هذه القصة عدة معان بعضها يؤكد ما ذهبنا اليه في مقدمة هذه المحاضرة .

وأتم ابنُه محمد ثم المنذر بن محمد وأخوه عبد الله بعضَ الزيادات البسيطة لإنجاز ما بدأه الأمير الأوسط .

ثم كانت الزيادة الثانية أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر ، حيث زاد فيه وهدم المئذنة القديمة التي بناها هشام بن عبد الرحمن الأول ، وبنى مكانها مئذنة جديدة في ٣٤٠هـ/ ٩٥٠م[1]. ولهذه المئذنة مَطلعان مفصولٌ بينهما ، يلتقي الراقون بهما في أعلى المئذنة ، وكان لكل مَطلع منهما ١٠٧ درجات . وبلغ ارتفاعها ثمانين ذراعاً حتى مكان المؤذن ، ومن مكان المؤذن إلى أعلاها عشرون ذراعاً . ثم نُصِب بأعلى المئذنة سَفّود بارز رُكّبت فيه ثلاثُ تفاحات من الذهب والفضة[2]. كان طول كل جانب من مئذنة الناصر ثمانية أمتار ونصف المتر ، وكانت كلها منقوشة ومزخرفة بألوان متعددة . لكنها أُصيبت فيما بعد وكادت أن تنهار ، فرُمّمَتْ بعد أن تهدّم بعضُها .

ثم كانت الزيادة الثالثة أيام الخليفة الحكم المستنصر بن الناصر . وبزيادته كملت محاسن هذا الجامع ووصل إلى حد

١- راجع : المقري ، نفح الطيب، ١/ ٥٤٥، ٥٦٠ -٣ .
٢- سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٩٠ .

يقصر الوصف عنه كما يقول المقّري[1] . وبنى المستنصر أيضاً ميضآت جديدة ، وأجرى اليها الماء من عين بجبل قُرطبه في أنابيب الرصاص التي حُفظت داخل قنوات حجرية متقنة البناء[2] . ويبدو أن طريقة إيصال الماء من منابعه إلى الأحواض أو بعض الدور والمرافق العامة بأنابيب الرصاص كانت معروفةً تماماً في هذه الفترة ، كما يروي لنا ذلك عددٌ من المؤرخين .

وكانت هذه المياه تَصُبّ في أحواضٍ من الرخام في المسجد وما يزيد منها عن حاجته يجري إلى سِقايات على أبواب الجامع بجهاته الثلاث : الشمالية والشرقية والغربية . كما ابتنى الحكم المستنصر معهداً لتوزيع الصدقات وأقام مكاتب لتعليم الضعفاء والمساكين واليتامى . ويقول الشاعر محمد بن شَخيص في وصف هذه القَنَوات وعملِ الحَكَم[3] :

وقد خرَقْتَ بطُونَ الأرض عن نُطَفٍ
من أعذَبِ الماءِ نحو البيتِ تُجريها

طُهْرُ الجسومِ إذا زالت طهارتُهـــا
ريّ القُلوبِ إذا حرّتْ صَوَاديهـــا

قَرَنْتَ فَخْراً بأجرٍ قلّ ما اقترنا
في أُمَّـــةٍ أنتَ راعيهـــا وحاميهـــا

١- نفح الطيب ، ١ / ٥٦١ .
٢- نفح الطيب ، ١ / ٥٥٥ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٩٣ .
٣- سالم ، نفس المصدر ، ص ٣٩٣ - ٤ .

وساحةُ المسجد الأعلى مُكلّلةٌ
مكاتباً لليتامى من نواحيها

لو مُكّنتْ سُورُ القرآن من كَلِمٍ
نادتك : يا خيرَ تاليها وواعيها

والزيادةُ الرابعة والأخيرة كانت أيام المنصور بن أبي عامر في ٣٧٧ هـ/ ٩٨٧ م . فأصبح للمسجد بعد هذه الزيادة واحدٌ وعشرون باباً، كانت جميعُها مُلبّسة بالنحاس و مُخرّمة تخريماً رائعاً . وكان يحتوي على مقاصير مُسقّفة للنساء . وكان عددَ أعمدته (١٢٩٣) عمود،رخامٌ كلها . وقُبابُه وجدارُ المحراب وما يليهقد أُجريَ فيه الذهبُ على الفُسَيْفِساء، وثرياتُ المقصورة من فضة [1] .

وبقي هذا المسجد قبلةً تهفو اليه قلوبُ المسلمين من كل مكان؛ كما كان جامعةً إسلامية كبيرة يقصدها العلماءُ كما يقصدها الطلاب.

إن قُرطبه كانت قرارة أولي الفضل والتقى ووطن أُولي العلم والنُهى وينبوع العلوم [2] ؛ كما كانت أكثر بلاد الأندلس كُتُباً ، وأهلُها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب . ومن لطيف ما يروي لنا المَقّري في ذلك أنه جرَتْ مُناظرةٌ في المفاضلة بين قُرطبه وإشبيلِيَة بين ابن رُشْد الفيلسوف وأبي بكر بن زهْر ، فقال له ابنُ رشد : « ما أدري ما تقول ، غير أنه

١ ـ ابو عبيد البكري ، **جغرافية الأندلس واوروبا** ، ص ١٠٣ .
٢ ـ **نفح الطيب** ، ١/ ٤٦١ .

إذا مات عالمٌ بإشْبيلِيه فأُريدَ بيعُ كتبه حُملت إلى قُرطبه حتى تُباعَ فيها، وإذا مات مُطْربٌ بقُرطبه فأُريدَ بيعُ تركته حُملت إلى إشْبيلِيَة » [1].ولعل إشْبيلِيَة ما زالت حتى هذا اليوم تحتفظ بقسطٍ من طابعها القديم ، طابع المرح والطرب . ففي بداية نيسان (أبريل) من كل سنة تُقام احتفالاتٌ ضخمة لمدة أسبوع يعيش الناس خلالها في أعياد مستمرة ، وذلك ما يُعرف باسم مهرجانات إشْبيلِيَة Feria de Sevilla .

وفي مثل هذا اليوم تماماً قبل سبعة قرون ونصف ،في ٢٣ شوال سنة ٦٣٣ / ٢٩ حزيران يونيو ١٢٣٦ م سَقَطَتْ عروسُ الأندلس (قُرطبه) بيد جيوش قَشْتالة،وذلك بعد سقوط دولة الموحدين في الأندلس وقيام مملكة غرناطة في ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م . وأصاب المسجدُ بعد ذلك كثير من الأحداث وناله التشويهُ الكبير على أيدي النصارى الإسبان.حيث أُقيم في داخله هيكل وأجريت تغييرات ، ثم أُقيم في وسطه هيكل كبير وصَفَهُ عدد من علماء الآثار الغربيين (الاسبان وغيرهم) بأنه « أشْنَعُ عَمَلٍ هَمَجي » [2]. وفي سنة ١٥٢١ م استأذن أُسْقُفُ قُرطبه في إقامة هيكلٍ رئيسي فأذنَ الإمبراطور كارلوس (شارلكان) به،فأحدث ذلك في المسجد تشوهاً.

١ ـ **نفح الطيب** ، ١ / ٤٦٣ .
٢ ـ عنان ، **الآثار الأندلسية** ، ص ٢٦ .

وحينما زار هذا الامبراطورُ قرطبه بعد ذلك واطّلع على ما تم فيه قال للمشرفين على الجامع : « لقد بنيتم هنا ما كان يمكن بناؤه في أيّ مكان آخر ، وقد قضيتم بذلك على ما كان أثراً وحيداً في العالم » (١) .

ثم تلاحقت التغييرات في هذا المسجد الرائع . والباقي حتى الآن من هذا المسجد يدل على مكانته ، رغم ما أصابه من تشويه وما زال عنه من جمال وروعة ورغم ما تهدم منه من أجزاء ، حتى لم يبق من تلك الغابة من النخيل أو الاعمدة إلا نصفها .

إلاّ أن هذا المسجدَ لا يزال يحملُ طابعَ الفن الإسلامي . وإننا لنجد فيه وفي غيره من الآثار العمرانية حكايةَ جانبٍ من قصة حضارة الإسلام في الأندلس . وفي الصوَر التي ستعرض عليكم أبلغ من أي كلام ، ليس أبلغُ منها إلا زيارةَ المسجد والإطلاع عليه عياناً (٢) .

إشبيلية

افتتحها موسى بن نُصَيْر في ٩٤ هـ / ٧١٣ م ، واتخذها ابنه عبدُ العزيز عاصمةً للأندلس . وتُعتبر من قواعد الأندلس الكبرى ، وفيها قامت مملكة بني عبّاد ، وجعل منها في

١– عنان ، نفس المصدر والصفحة .

٢– كانت قد عرضت صور (بالشرائح Slides) عن بعض آثار الأندلس في نهاية المحاضرة .

سنة ٥٥٨ / ١١٦٣ أبو يعقوب يوسف عاصمةً ثانية للدولة الموحدية . وتظل كذلك حتى خلافة أبي يوسف يعقوب الملقب بالمنصور ثالث خلفاء الموحدين . وفي عهده تمت فيها إنشاءات كثيرة كان منها الصومعة (أو المئذنة) التي تعرف الآن بـ (الخيرالدا La Giralda) .

وفي سنة ٦٤٦ / ١١٤٨ تسقط بيد ملك قشتالة ، أي بعد سقوط قرطبه بثلاث عشرة سنة. كانت في إشبيلية آثار كثيرة ، لكنها إما هُدمت أو شُوّهت كما شُوّه مسجد قرطبه من قبل . ولم يبقَ من مآثر إشبيلية غير المئذنة التي بناها المنصور الموحدي في حوالي ٥٨٠ / ١١٨٤ . ويبلغ ارتفاعها الآن أقل بقليل من مئة متر .

وفي سنة ١٤٠٢ م بُدِأ بإنشاء كنيسة إشبيلية فوق مسجدها . وبقي أيضاً من الآثار الإسلامية في إشبيلية قصرها الذي يُعرف أيضاً باللغة الإسبانية بنفس الاسم Alcazar . ويقع هذا القصر على مقربة من الكنيسة العظمى . ويرجع تاريخه إلى أيام الفتح الإسلامي الأول . كان في مبدأ أمره بيتاً صغيراً أقام فيه موسى بن نُصير ثم أقام فيه ولاة إشبيلية بعد ذلك فجددوه ووسعوه . وفيه أقام بنو عبّاد واهتم به المُعتمِد وتأنق في زينته وأثاثه وسمّاه (المبارك) . وورثه الموحدون ثم المسيحيون بعد ذلك ، فأجروا عليه بعض التغييرات. ويتكون هذا القصر من طابقين . وهو يعبر تعبيراً جيداً عن روعة الآثار الإسلامية والفن المعماري عندهم . والطابق الأول

منه يبدوا في معظمه أندلسي الأصل، أما الطابق الثاني فيكاد
يكون كله قد تمّ أيام الإسبان، تقليداً للفن الأندلسي، بُني
على أيدي المسلمين الذين بقَوا في إشبيلية وفي غيرها بعد
سقوطها، وهؤلاء يسمون بـ «المدجّنين»[1].

غرناطه

تعني غرناطه Granada بالإسبانية الرمانة. وكانت
مدينةً قائمة، لعلها غير ذات أهمية كبيرة. وافتتحها المسلمون في
أيام طارق، ولم تأخذ لها الأهمية التاريخية الكبرى إلا بقيام
مملكة غرناطه فيها مِن قبل بني الأحمر الذين
اتخذوها عاصمة لهم. واستمر فيها مُلكُ بني الأحمر ما يزيد
على قرنين من الزمان حتى سقوطها في ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م.
وما قلنا عن غيرها من المدن الأندلسية نقول عنها فيما
أصابها من النكبات. وخيرُ ما بقي لنا من الآثار فيها هو
قصرُها المعروف بـ «الحمراء Alhambra». وقريبٌ
من هذا القصر تقع (جنةُ العريف Generalife). ويعتبر
قصرُ الحمراء أعظمَ أثرٍ أندلسي باق. ولم يكن هذا القصر
إلا جزء صغير فقط من مدينة الحمراء، التي تسميها الرواية
الإسلامية: قَصَبة الحمراء[2]. وكانت تشمل قصر الحاكم
والقلاع ودُور الوزراء والحاشية، وهي أشبه بالزهراء
في قُرطبه من حيث الوظيفة.
وقد نشأت الحمراء نشأةً تدريجية، تطوّرت فيها خلال

١– راجع: عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ٥٨.
٢– المصدر السابق، ص ١٨٩.

الزمن. وكان موقعُها في الأصل قلعةً تسمى الحمراء، بُنيت
فوق هضبة هناك في القرن الرابع الهجري، ثم أُقيمت بعض
البنايات. ولما أنشأ محمد بن الأحمر مملكة غرناطه اتخذ
مركزه في تلك القصبة وجعلها مدينة مُلوكية وزاد في
بناياتها ومُنشآتها. وهكذا نمت على يد مَن جاء بعده. ويُعدّ
قصرُ الحمراء اليوم مِن أروع وأبدع الآثار الإسلامية في
الأندلس، سواء في إسبانيا أو البرتغال. يمتاز بعقوده الرائعة
وزخارفه البديعة وأعمدته الرشيقة وأناقته المتناهية[1].
وينقسم قصر الحمراء إلى جناحين كبيرين: الأول جناح
قمارش الذي يضم قاعة السفراء والبرج، والثاني جناح الأسُود
الذي يتوسطه فِناءُ الأسود. وفي كل من هذه الأجنحة
القاعاتُ والأفنية والأروقة.
ولقد كثُرَ الإنتاجُ الشعري والنثري في وصف قصر
الحمراء، خاصة ما أنتجته قريحةُ ابن الخطيب وتلميذه
ابن زَمْرَك. ونجد كثيراً من هذه الأشعار منقوشة على جدران
القصر كما نجد منقوشةً أيضاً الآيةُ الكريمة: «لا غالِبَ
إلاّ الله»، التي هي شعار مملكة غرناطة.

***

وفي الصور التي سنعرضها خير بيان على مستوى الفن
المعماري الذي وصله المسلمون في الأندلس. وهناك الكثير
غير هذا الذي ذكرنا من الآثار موزع في مدن عديدة في

١– انظر: عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ١٩٢.

إسبانيا والبرتغال . وقد كتب عنها كثير من الرحالة من مختلف الأقطار وبعدة لغات ، كما كتبت عنها الباحثون الكتب الكثيرة . وإن كانت هذه الآثار المتبقية وحدها غير كافية تماماً لإعطاء صورة صحيحة مكتملة عن مستوى فن العمارة الذي وصله المسلمون، ولكن ما نجده في كتب المؤرخين المسلمين،خاصة من زار منهم تلك المناطق ووصفها بدقة ، كما شاهدها ، يعتبر متمماً أو موضحاً لهذه الصورة .

* * *

إن الأندلس لتمثل مأساة كبرى في التاريخ الإسلامي تثير الأسى والأسف والحزن العميق . وليس مصدر ذلك ناتجاً (متأتياً) فقط من زوال سلطان المسلمين السياسي عنه ، ولكن أيضاً من زوال أفراده المسلمين . وكان ذلك نتيجة (بفضل) المقاومة الجاهلة العمياء وعمليات القمع الغبية البشعة التي لا يقرها عرف ولا دين . هذا إذا علمنا مقدار ما لاقاه المسلمون على يد السلطات الإسبانية،خاصة بعد سقوط غرناطه ، حيث اتبعت كل وسيلة لمحو أي أثر للإسلام هناك ، مهما كانت عميقة في وحشيتها أصيلة في عدائها وتعصبها كالحة في بشاعتها . فمن تقتيل وتشريد إلى حرب باطشة مهلكة ،لمن تجده متلبساً بأي شيء يتصل بالإسلام، حتى اللبس واللغة ، وحتى بعد إعلانهم الإنضمام إلى المسيحية . واستمر ذلك – بشكل أو بآخر – خلال عدة قرون تلت سقوط غرناطة ، الأمر الذي اضطر المسلمين ، خلال هـذا الاضطهاد ، أن يظهروا المسيحية ويبطنوا الإسلام

ويعلموه أولادهم ، رغم القتل بالجملة ودونما سبب ومن غير رحمة. وقد أطلق على هؤلاء المسلمين المتسترين اسم (الموريسكيين Moriscos) . ولم ينج من العذاب أحد . وطرد وقتل منهم الملايين وأبعد الكثير إلى خارج إسبانيا [1].

وربما نذكر بهذه المناسبة ما يثير انتباهنا واهتمامنا ما أوردته بعض الصحف قبل عام أو يزيد ، على إثر إصدار الدولة الإسبانية قانون الحريات الدينية . **فقد أعلنت ستمائة أسرة (مسلمة) في إسبانيا إنها لا تزال تحتفظ بإسلامها .**

ولعل في ظهور هذا العدد من الأسر (التي كانت محتفظة بدينها خفية خلال عمليات القمع الرهيب طيلة هذه القرون) مسلمة متمسكة بعقيدتها معتزة بها تورثها الأجيال خلفاً عن سلف ، **دليلاً قوياً على إن قوة الإسلام عظيمة كامنة في ذاتهم لا تزول وإن الإسلام مهما لاقى فإن التمسك به لا يمكن أن يقهره أي جبار ولا طاغية ، بأي قوة استعان ومن أية جهة جلب التأييد . وهذا محفز آخر للمسلمين يثير انتباههم ويقوي من عزيمتهم ، ليعيد كثير منهم مواقفهم من الاسلام ويردوا اليه قيادة أنفسهم ويسلموها لله،وعلى ضوء من الاسلام يقيموا مجتمعهم .**

---

١ – عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ص٣٧٩–٣٩٠ .

المصادر

أولاً — العربية :

ابنُ الأبّــار ، **الحُلة السِيرَاء** ، تحقيق حسين مؤنس ،القاهرة،١٩٦٣، الجزء الأول .

ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، تحقيق **C.J. Tornberg** ، ليدن، ١٨٦٢ — ١٨٧١ ، الأجزاء : ٦ — ٨ .

ابن حزْم القُرطبي ، **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

ابن حزْم القُرطبي ، **طَوْقُ الحمامة في الألْفَة والألاّف** ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

ابن حَوْقَل، **صورة الأرض** ، تحقيق كريمر **J.H. Kramers** ،ليدن، ١٩٣٨ ، الجزء الأول .

ابن حيّان القُرطبي، **المُقتَبِس في أخبار بلد الأندلس**، قطعة بتحقيق ليفي بروفنسال في مجلة **الأندلس** ***Al-Andalus*** (مدريد — غرناطة) ، المجلد ١٩ ، القسم الثاني (١٩٥٤) ؛ **مخطوطة** القرويين (لا رقم لها) وتمثل الجزء الثاني ، ويطبع الآن في بيروت بتحقيق محمود علي مكي ؛ الجزء الثالث ، تحقيق

Melchor M. Antona ، باريس ، ١٩٣٧ ؛
مخطوطة مكتبة الأكاديمية التاريخ في مدريد ، مجموعة كوديرا رقم ٢ (حققها المؤلف وطُبعت في بيروت ، ١٩٦٥) .

ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، الجزء الأول .

ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** (القسم الأندلسي) ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت ، ١٩٥٦ .

ابن خلدون ، **العبر** ، بيروت ، ١٩٥٨ ، الجزء الرابع ، القسم الثاني .

ابن سعيد المغربي ، **المُغرب في حُلى المَغرب**، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ، ١٩٥٣ ، الجزء الأول .

ابن عِذاري ، **البيان المُغرب** ، تحقيق ج . س . كولان وليفي بروفنسال، ليدن ، ١٩٥١ . الجزء الثاني .

ابن القوطية ، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، طبعة عبد الله أنيس الطبّاع ، بيروت ، ١٩٥٧ .

أديب مخّول (قيصر) ، **الإسلام في الشرق الأقصى** ، ترجمة نبيل صبحي، بيروت ، ١٩٦٦ .

أرسلان (شكيب) ، **الحُلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، فاس (المغرب) ، ١٩٣٦ ، الجزء الثاني .

الإصطخري ، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، القاهرة ، ١٩٦١ .

بالنثيا (آنخل جنثالث) ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

بامات (حيدر) ، **دَوْرُ المسلمين في بناء المدنية الغربية**، جنيف ، (بدون تاريخ) .

البكري (أبو عبيد) ، **المسالك والممالك**، مخطوطة نورعثمانية (اسطنبول) ،

رقم ٣٠٣٤؛ **جغرافية الأندلس وأوروبا** ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، ١٣٨٧ / ١٩٦٨ .

حتّي (فيليب) ، **تاريخ العرب** (مطول) ، بالاشتراك مع ادورد جرجي وجبرائيل جبور ، بيروت ، ١٩٦٦ ، الجزء الثاني .

الحِميَري (محمد بن عبد المنعم) ، **الرَّوض المِعطار (صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المِعطار في خبر الأقطار)** ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

الخُشَني (محمد بن حارث) ، **قضاة قُرطبة**، القاهرة، ١٣٧٢ (١٩٥٢) .

رينو (جوزيف) ، **تاريخ غزوات العرب** ، ترجمة وتعليق شكيب أرسلان ، وبضمنه كتاب لكلر Keller ، بيروت ، ١٩٦٦ . وانظر المصادر الأجنبية : Reinaud .

سالم (السيد عبد العزيز) ، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، بيروت ، ١٩٦٢ .

عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، **أوروبا العصور الوسطى** ، الجزء الأول (التاريخ السياسي) ، القاهرة ، ١٩٦١ .

عاشور (سعيد عبد الفتاح) ، **المدنية الإسلامية وأثرها على أوروبا**، القاهرة ، ١٩٦٣ .

العبّادي (أحمد مختار) ، «سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس» ، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية** ، مدريد ، ١٩٥٧ ، المجلد الخامس .

عبد البديع (لطفي) ، **الإسلام في إسبانيا** ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

العُذري (أحمد بن عمر بن أنس) **نصوص عن الأندلس** ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، مدريد ، ١٩٦٥ .

العُمري (ابن فضل الله) ، **مَسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ،

مخطوط دار الكتب بالقاهرة (نسخة مصورة) ، رقم : ٥٥٩ ، الجزء ١٦ ، القسم الأول .

عنان (محمد عبد الله) ، **دولة الإسلام في الأندلس**، القاهرة ، ١٩٦٠، جــزءان .

عنان (محمد عبد الله) ، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، القاهرة ، ١٩٥٨ .

عنان (محمد عبد الله) ، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال** ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

فرّوخ (عمر) ، **العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط** ، بيروت ، ١٩٥٩ .

القزويني (زكريا بن محمد) ، **آثار البلا وأخبار العباد**، بيروت، ١٩٦٠ .

لين بول (استانلي) ، **العرب في إسبانيا** ، ترجمة علي الجارم ، القاهرة ١٩٦٠ . وانظر المصادر الأجنبية : Lane - poole .

مجهول المؤلف ، **أخبار مجموعة**، تحقيق E. Lafuente y Alcantara، مدريد، ١٨٦٧ .

المراكشي (عبد الواحد) ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

المقري (أحمد بن محمد) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** . طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، الأجزاء ١ ، ٤ ، ٦ ؛ طبعة دوزي وزملائه ، ليدن ، ١٨٥٦ ، الجزء الأول ، القسم الأول ؛ طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢م) الجزء الأول ؛ طبعة بيروت ، ١٩٦٨ ، تحقيق إحسان عباس ، الجزءآن ١ ، ٣ .

مونس (حسين) ، **فجر الأندلس** ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، القاهرة ، ١٩٠٦ ، الجزء الأول .

ثانياً – المصــادر الأجنبية :

Altamira y Creva (Rafael) , *Historia de Espana y de la civilizacion espanola*, Barcelona, 1900, vol. I.

Aschbach (Joseph), *Geschichte der Omajaden in Spanien, a / M.* , 1829, vol. I.

Cagigas (Isidro de Las), *Los Mozarabes*, Madrid, 1947, vol. I.

Casiri (Michaelis), *Bibliotheca Arabico - Hispana Esquirialensis*, Madrid, 1770, vol. II.

Codera y Zadin (Francisco), *Coleccion de Estudios Arabes*, Madrid, 1917, t. IX.

Dubler (César E.) , *Abu Hamid el Granadino y Su Relacion de Viaje por tierras Eurasiaticas*, Madrid, 1953.

Encyclopaedia Britannica, 1952, vol. XVI.

Hole (Edwyn), *Andalus, Spain under the Muslims*‘ London, 1960.

Imamuddin (S. M.), *A Political History of Muslim Spain*, Dacca, 1961.

Lafuente (Modesto), *Historia General de Esp ana* Madrid, 1850, vol.III.

Lane-Poole (Stanley), *The Moors in Spain*, , London, 1897.

Lévi-Provençal (E.), *Histoire de Espagne Muslmane*, Paris, 1950, vol. I; Sp. tr. E. Garcia Gomez, *Historia de Espana*, vol. IV, *Espana Musulmana*, Madrid, 1957.

Murphy (J.C.), *History of the Mohametan Empire in Spain*, London, 1816.

Oliver y Hurtado (M.), *Discursos*, No. 2, Madrid 1866, vol. III. منشورات الأكاديمية التاريخية في مدريد

Reinaud (J.T.), *Muslim Colonies in France, Northern Italy and Switzerrland*, Enq. tr. Haroon Khan Sherwani, Lahore, 1964.

Saavedra (E.), *Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana*, Madrid, 1892.

Simonet (F. J.), *Historia de los Mozarabes de Espana*, Madrid, 1897 - 1903.

Urbel (F. J. Perez de), *Historia de Espana*, vol. VI, *Espana Cristiana*, Madrid, 1956.

westberg (F.), *Mémoires de l'Académie Impériale des Sciences de St - Pétersbourg*, VIII série, 1898, vol. III No. 4. والبحث باللغة الألمانية .

للمؤلف

١ – تحقيق ودراسة لكتاب «**المُقْتَبِس في أخبار بلد الأندلس**» للمؤرخ الكبير ابن حيّان القُرطبي، المتوفي سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م. طُبع ضمن سلسلة « المكتبة الأندلسية » ، ١٩٦٥، رقم ٤، تصدرها « دار الثقافة » في بيروت.

يتحدث هذا الجزء من « **المُقْتَبِس** » عن خمس سنوات (٣٦٠ – ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ – ٩٧٤ م) من أيام الحكم الثاني ، المستنصر بالله (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م) .

Critcial edition of «*AL-MUQTABIS FI AKHBAR BALAD AL - ANDALUS*», by Ibn Hayyân (d. 469/ 1076), Beirut, 1965. This volume, of « *AL- MUQTABIS* », descusses almost five years (360 - 4 / 970 - 4) of the Reign of al - Hakam II (350 - 66 /9 96 - 76) .

٢ – تحقيق ودراسة للنص الجغرافي المتعلق بالأندلس وأوروبا من كتاب « **المسالك والممالك** » تأليف الجغرافي الأندلسي الكبير « أبو عبيد البكري » (عبد الله بن عبد العزيز) ، المتوفي سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م .

ظهر هذا النص تحت عنوان « **جغرافية الأندلس وأوروبا** » في بيروت .

١٣٨٧ / ١٩٦٨. قامت بنشره دار الإرشاد «للطباعة والنشر والتوزيع»،
ص. ب : ٦٣٤٧ ، بيروت.

Critical edition of « *THE GEOGRAPHY OF AL-ANDALUS AND EUROPE*», from the Book «*AL-MASALIK WAL-MAMALIK*» by Abû Ubayd al-Bakrî (d. 487 / 1094). Published Beirut, Dar al-Irshad (P. O. Box 6347, Beirut).

٣ ـ **أندلُسيّات** (المجموعة الأولى) ، بيروت (دار الإرشاد)
١٣٨٨ / ١٩٦٩ . ويضم بحوثاً ومقالات معظمها في التاريخ الأندلسي .

٤ ـ **أندلُسيّات** (المجموعة الثانية) ، بيروت (دار الإرشاد) ،
١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٥ ـ **نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي** ، بيروت (دار الإرشاد) ،
١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٦ ـ **الحضارة الإسلامية في الأندلس** ، بيروت (دار الإرشاد)
١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٧ ـ **لمــاذا الترقيع ؟ !** ، بيروت (دار الإرشاد) ، ١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٨ ـ **تاريخ الموسيقى الأندلسية** ، بيروت (دار الإرشاد) ،
١٣٨٩/ ١٩٦٩ .

٩ ـ أطروحة الدكتوراه ، باللغة بالانجليزية :

ANDALUSIAN DIPLOMAIC RELATIONS WITH WESTERN EUROPE DURING THE UMAYYAD PERIOD, Beirut, 1389/1969 (Dar al-Irshad, P. O. Box 6347, Beirut).

١٠ ـ بحث بالانجليزية :

"Political Relations between the Andalusian rebels and Christian Spain during the Umayyad period", *THE ISLAMIC QUARTRERLY* (publishsed by «The Islamic Cultural Centre», Regnt's Lodge, 146 park Road, London N. W.8, England.), Vol. X, Nos. 3 and 4, 1386/ 1966.

ونُشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من **أندلسيات** .

١١ ـ بحث بالانجليزية :

"Intemarriage Between Andalusia and Northern Spain in the Umayyad period", *THE ISLAMIC QUARTERLY*, Vol. XI, Nos. 1 —2, 1387 / 1967.

ونُشر بالعربية ضمن المجموعة الأولى من **أندلسيات** .

١٢ ـ نقد ، باللغة الانجليزية ، لكتاب :

Review :

W. Montgomery Watt : *A HISTORY OF ISLAMIC SPAIN* (Islamic Surveys4), E. U. P., 1965. In «*THE ISLAMIC QUARTERLY*», Vol. X, Nos. 3 — 4, 1386/1966.

ونُشر (النقد) باللغة العربية ضمن المجموعة الأولى من **أندلسيات** .

١٣ ـ بحث بالانجليزية :

"Two Unknown Embassies from a Frankish Monarch to the Court of Cordoba during the reign

of Al-Hakam II",*THE ISLAMIC QUARTERLY*, Vol . X , Nos. 1 — 2, 1386 / 1966 .

وُنشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من **أندلسيات** .

١٤ ـ بحث بالانجليزية :

"Christian States in Northern Spain duringthe Umayyad period",*THE ISLAMIC QUARTERLY*, Vol. IX, Nos. 1 — 2, 1385 / 1965.

وُنشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من **أندلسيات** .

١٥ ـ بحث باللغة الانجليزية عن الرحالة الأندلسي (ابراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطُرْطُوشي) :

"Ibrahîm Ibn Ya ' qûb at-Turtûshî, Andalusian traveller", *ISLAMIC CULTURE* (published by the Islamic Culture Board, Hyderabad - Deccan, India.) Vol. XL, No. 1, Jan. 1966.

١٦ ـ بحث بالانجليزية يتناول جانباً آخر من شخصية الرحالة الأندلسي (ابراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطُرطُوشي) :

"At - Turtûshî, The Andalusian travller, and his meeting with Pope John XII",*THE ISLAMIC QUARTERLY*, Vol. XI, Nos. 3 - 4 , 1387 / 1967.

١٧ ـ بحث بالانجليزية :

"The Andalusian Diplomatic Relations with the Vikings during the Umayyad period", *HESPÉRIS-TAMUDA* (Rabat,Morocco), Vol.III 1967 .

١٨ ـ بحث بالانجليزية :

"Political Relations of Andalousian rebels with the Franks during the Umayyad period", *THE ISLAMIC QUARTERIY*, Vol. XII, Nos. 1-2, 1388 / 1968.

١٩ ـ بحث بالانجليزية :

"Diplomatic Relations Between Andalusia And Italy during the Umayyad Period",*THE ISLAMIC QUARTERLY*, Vol. XII, No. 3 , 1388 / 1968 .

٢٠ ـ بحوث تحت الطبع بالعربية والانجليزية والإيطالية .



مَطابع دَار القَلَم

بيروت — لبنان

STUDIES ON ANDALUSIAN HISTORY

(Second Collection)

BY

ABDURRAHMAN ALI EL-HAJJI

(B. A., Cairo Univ.; Ph. D., ANTAB.)

DAR AL-IRSHAD

P. O. BOX 6347 - BEIRUT

1389 / 1969